صاحبها ورئيس تحريرها
مدحت عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

شباط
١٩٧٦
ملحق العدد ٧

اللقاء الكريم

بقلم

رئيس التحرير

لقد كان الادب وما يزال هاديا لكل مسيرة تسيرها الشعوب نحو تطلعاتها الكبرى، وغاياتها المثلى في طريق لقائها ووحدتها .

وايمانا منا بما للادب من أثر في توطيد عرى الاخوة بين أبناء الامة الواحدة ... فقد كانت هذه اللبنة المتواضعة التي أردناها أن تكون في المكان الذي أردناه لها أن تكون ـ بصدور هذا العدد عن أشقائنا من أدباء الاردن الحبيب ..

واذا كنا قد تركنا المجال للتاريخ يملي ما يشاء عن هذه المرحلة المشرفة من لقاء القطرين الشقيقين سوريا والاردن .. فاننا في مجلة الثقافة لنأخذ على نفسنا عهدا أن نعمل، ونعمل ـ بصمت ـ لدعم هذا اللقاء التاريخي وما سيتبعه من لقاءات بين الاشقاء وهبنا لها العمر، ونذرنا كل ما نملك .

وكيف لا .. وهذه اللقاءات التي نراها حتمية لتحقيق الوحدة الشاملة التي كانت وستظل أسمى الغايات وأنبلها عند كل عربي أصيل ..

الحرية والالتزام

بقلم

عبد الحليم عباس

لا يزدهر الادب والفكر ، الا في ظلال الحرية ،قضية تكاد تكون مسلمة وبديهية ، بل ان رقي الامم ، يقـاس بمقدار ما تمنح ابناءها من حرية ، وبمقدار ما يقوم هذا الانسان بما عليه من حقوق وواجبات تجاه امته ، التي تعطيه تلك الحرية .

الحرية التي لا يعترض سبيلها معترض ، من ظلم ظالم ، او من وضع سيء متخلف ، هي التي تمنح الاديب القدرة ، على ان يعطي خير ما عنده ، من أدب وفكر ، والى أن يتعالى ويتسامى بهذا الذي يعطيه ، الى مجـالات الخلق والابـداع .

ومجالات الخلق والابداع في الادب كثيرة ومتنوعة ، منه ما هو للمتعة الفنية الخالصة ، التي توسع آفاق الحياة، وتزينها بأجمل واحلى ما تزين به حيا ة انسان ، ومنهـا ما هو لتصوير الخير والحق ، ليحرص الانسان عليهما ، ومنها ما هو لتصوير الشر والظلم ، لتباعد هذا الانسـان عنهما ، ومنها اشياء كثيرة ، ومجالات متعددة ، حتـى الشكوى من الزمان ، والنقمة على الحياة والاحياء ، تصبح على السنة الشعراء والادباء ، نغمات لانشاز فيها ..فتلك هي الحياة ، ليست ايامها جميعا ، للصفو الخالص ،وليست كل الحانها ، لحن حب .

ان الادب العربي ، قديمه وحديثه ، ليخسر كثيرا ، اذا ما افتقد مكان — المعري — فيه وافتقد شكاته ونقمته على الحياة ، وتبرمه بها .

ونحن اذ نصغي اليه ، وهو يشكو ويتبرم من الحياة، نبسم له في عطف ومودة ، ولا نضيق به ، كما ضاق هو وتالـم .

بل نحن لا نضيق به ، وهو يهجونا جميعا كادباء ،



عبد الحليم عباس

ويصرخ بنا قائلا انكم تدعون الناس أيها الادباء الى الكذب، فذلك رأي قد يكون اضطره اليـه ، جماعة من الادبـاء عاشرهم او قرأ لهم . كقوله .

وما ادب الناس في كل معشـر

الى الكذب ، الا معشر ادبـاء

جئت بالمعري كمثل لانه من اكثر ادبائنا ، امتلاكا لحريته ، وبهذه الحرية وحدهـا جـلا عن عبقرية يفتخر بها الادب العربي ، ولولا ذلك لتاهت هذه العبقرية وضاعت، كما ضاعت غيرها من عبقريات ، لم تعط القدر الكافي من الحريـة .

ان المعري يعرض علينا ، اشياء قد لا تلزمنا ، في حياتنا .

وكذلك غيره من الشعراء ، والادباء ، الذين كادوا ان يقصروا ادبهم على تصوير خلجات انفسهم .
اي شأن لنا في لبنى وليلى .
ولكن اية خسارة ، كان يمكن ان يخسرهـا الادب

الجميل الرائع ، لو أننا اعترضنا هذا الادب ، ولم نوسع له ، حتى في شعر الهجاء ، لانعدم ان نرى في الكثير منه جمالا •

فالادب حرية باوسع معانيها ، وبهذه الحرية ،تختلف وتتنوع معطياته ، لتزيد في بهجة الحياة ، ولتعين المرء في رحلة العمر ، ولترتفع بحياته الى حيث الجمال في الفكر والعمل •

له ان يكتب ويذيع في الناس ، ما يشاء ، اذا كان يعبر صادقا في هذا الذي يكتب ، عما في نفسه ، ليس لاحد ان يملي عليه شروطه ، وان يضع الحواجز في سبيله ، وليجيء بعد ذلك في ادبه ، ما هو للفن الخالص ، وما هو للتعبير عن ذاته ، وما هو للجمال وحده ، فلن يجوز ذلك على ادبه وتقديره •

لعميد ادبائنا الدكتور طه حسين ، كتاب هو للادب الخالص « الايام » ولن انسى في المهرجان الذي اقيم في لبنان ، في ذكرى اديب العروبة « الريحاني » ذلك المستشرق الايطالي « امبرتو ريسيتانو » وقد اقبل متهلل الوجه مسرورا وقال :

ـ احب ان ازف اليك بشرى ، لقد علمت ان الدكتور طه حسين ، يملي الجزء الثالث ، من كتابه « الايام » واذا صح الخبر ، فلن تكون البشرى ، مقصورة عليكم ، ادباء العرب ، وانما هي لادباء العالم جميعا •

واين هو الاديب ، من الالتزام بعد ذلك •

انه في غماره •

ان هؤلاء الادباء الذين ذكرنا ، ان ادبهم في الكثير منه ، كان للادب الخالص ، التزموا الكثير من قضايا مجتمعهم ، ولم يحل انطلاقهم وراء الجمال ، او تصوير ذواتهم ، ونزعات نفوسهم في ان يشاركوا مواطنيهم في العديد من مشاكلهم ، فعلوا ذلك ، لا ، لانهم ملزمين ، او ملتزمين بل لانهم مواطنون أولا •

بل نحن لا نبعد في النقلة، وانما نذكر العهد القريب في نهضتنا ، ففي مطلعها، وقد استقام الادب أسلوبا وفكرا، بعد عصور الضعف والتخلف ، كان الادباء والشعراء ، يكتبون وينظمون في فنون مختلفة ، ولكنهم كانوا يولون قضايا مجتمعهم ، العناية والرعاية •

لم تكن قضية الالزام ، والالتزام مطروحة • ولكن العالم العربي ، كان يعاني من الحكم الاجنبي وقد شارك اتم المشاركة ادباء وشعراء ذلك العصر ، والبعض منهم رايناه وسمعناه في محاربة المستعمر ، واجلائه عن دنيا العروبة ، ينظم القصائد التي الهبت شعور المواطنين ، والهبت من عزائمهم ، والتي مازلنا نحفظ الكثير منها ، ونتغنى به ، ووضعت الكتب ودبجت المقالات ، التي تبصر الناس ، في حقهم في الحياة المستقلة الكريمة •

وقد كان الناس يدخلون في تقديرهم ، لادب اولئك الادباء والشعراء هذه الاحاسيس الوطنية المباركة ،فيعظم الاديب والشاعر ، بمقدار ما يولي قضية وطنه ، وامته، من عناية ورعاية ، ويجور على تقديره الادبي ، ان أهمل او تغاضى عن ذلك •

يفعل الاديب والشاعر ذلك ، دون ان يطلب اليه او يلزمه به احد ، وقد يتعرض ويا شد ما تعرض الادباء ، في سبيل ما اخذوا به ، للاذى والحبس والتشريد•

فلم يقيد عليهم التاريخ ، تخلفا في هذا المضمار ، قارعوا الاستعمار واعوانه ، واذكوا نار الحمية في نفوس العرب قاطبة ، بتذكيرهم ما كان لهم من ماض مجيد ، وحضارة مشرقة ، وكثرت مثل هذه النغمات ، في المشرق العربي ، ومغربه ، بل تعدته الى النازحين من ابناء العروبة في المهجر •

يقول احدهم ، وهو مهاجر :

بين برح الهموم والاشجان
وربوع من الجوى ومغان
وقف الضعف بي ولي عزمات
باقيات وقوف شيخ فان

حبذا مجلس لقحطـان فيـه
مجلس ينتمي الى قحطـان
عرب كلكم واخوان صـدق
وكذا العرب اصدق الاخـوان
وطن العرب لا ترعك الليالـي
لك عند الايام كـل امـان
اهلك الاكرمون دونك جدوا
تاركين الهوان للمتوانـي

ثم يقول غيره :

انما الشام والعـراق ومصـر
اخوات واني تفرقن حينـا
سينال الجميع بعد قليـل
مارجاه لخيره الراجونـا

ويقول اخر :

دع مجلس الغيـد الاوانـس
وهوى لواحظهـا النواعس
اين النعيم لمـن يبيت
على بساط الـذل جالس
ولمن ازمته بكف عـدا
ه يظلم وهـو آيس
ولمن تباع حقوقـه
ودماؤه بيـع الخسائس
ولمن يرى اوطانـه
خربا كاطـلال دوارس
اولستم العرب الكـرام
ومن هم الشـم المعاطس
فاستوقدوا لقتالهـم نـارا
تروع كـل قابس

كان الامر كذلك في الماضي القريب ·

فما هو اليوم ·

يختلف اليوم عن الامس ، في أن القضايا التي كانت تشغل بال مجتمعنا كانت محدودة وواضحة اما هي اليوم، والعالم العربي يجتاز اخطر مراحل حياته ، فليست هي ، بالكثير منها كذلك ·

ان كل شيء في هذه الفترة المميزة من التاريـخ ، مضطرب ، فلابد للاديب من ان يمشي على حذر ، ليستطيع ان يأخذ بما يفيد امته ، ويعود على مجتمعه بالخير ·

وهذا الحذر ، هو الذي اوجب عليه ان يطرح هذا السؤال ·

هل هنالك من فرق ، بين الزم والتزم ، ان الكلمتين غير مترادفتين في اللغة ، فالالزام فيه ، اكراه وفيه تقييد للحرية ، وليس في الالتزام شيء ، من ذلك ، فالملتزم حر ضمن القواعد التي يضعها هو على نفسه ، وعلى ادبه ، ونتاج فكره ، وليس عليه ابدا اكراه او الزام من سواه·

هذا هو الذي في اللغة ، فما هو الذي في واقع الحياة، او اذا اردنا الدقة وكنا غير ملزمين قلنا فما هو الذي في واقع مجتمعنا العربي ·

ان الكلمتين تتقاربان ، حتى تصبحا في كثير مـن الاحيان ، مترادفتين تشيران الى معنى واحد ، عندما يعنى الالتزام في دنيا السياسة ، والتفكير العربي الحديث ، اخذ الاديب بنهج معين لا يحيد عنه ، ولا يرى او يراد له ان يرى سواه ·

ليس له ان يناقش في هذا النهج ، او يشير الى اخطاره واخطائه ·

ومن هنا تجيء خطورة هذه القضية ، وانشغال ادباء العرب بهـا ·

فاذا كان الالزام كما يشهد التاريخ على ذلك ، ليس له من نتيجة ، غير قتل الفكر بارتداد هـذا الفـكر الى الضحالة ، والضياع ، ثم فقدان قدرته على دفع مجتمعه الى ما هو أسمى وأجمل ، وأكثر عائدة وفائدة ·

واذا ما انتكس الفكر ، فقد انتكس المجتمع ، وفي ذلك فقدانه ، لمقومات القوة ، ثم تمزيقه وضياعه ،وكذلك

هو الشان عند الالتزام ، اذا لم يكن من شروطه ، اولا وقبل كل شيء الحرية .

فالالتزام ، ويجب ان نشدد هنا ، لايعني ضياع الحرية ، لان فهم الالتزام على هذا النحو ، يعني الكثير في مجتمعنا العربي ، ولعلي لا اجانب الحق ، ولا ابتعد عن الالتزام الشريف النظيف ، اذا ما قلت ان من جملة اسباب ما اصبنا به ، اننا لم نكن ، نمكن للالتزام الفكري والادبي في وطننا ، ولم نكن نفرق بين الالتزام بحرية ، والالتزام بدونها .

صحيح ، ان التحول التاريخي الكبير ، الذي تعيشه اليوم الشعوب العربية ، في سائر اقطارها والذي تستهدف منه ازالة آثار التخلف الذي فرضته عليها قرون سحيقة من الاستعمار اللئيم ، يقتضي العجلة والشدة ولكن هذه العجلة والشدة ، يجب أن لا تأخذ علينا وعينا وادراكنا ، لما يمكن أن تتعرض له مسيرة التحول الكبرى الرائعة ، من أخطاء وأخطار ، ان لم ينبه اليه أدباء ، ويصغي الينا ساسة ، ورجال حكم ، والا فقد تنحرف المسيرة ، ولا يكون التحول في كل اتجاهاته الى الامثل ، كما حدث في الكثير من مسيرات الشعوب ونهضاتها .

واذا ما وعينا هذا واخذنا به رجعنا الى القول بان الاديب مواطن ، وكما يحس كل مواطن واع بمشاكل امته فكذلك هو الشان عند الاديب ، بل ان الشعور عنده اعمق .

فهو على هذا الفهم والوعي ملتزم بالكثير من قضايا وطنه ، ومشاكل امته ، وفي النضال من اجل اسعادها ، ودرء الاخطار عنها ، فالاديب بحق ، هو الذي يعيش مشاكلها ، وليس هو بالاديب ، ذلك الذي ينعزل عنها .

افي هذا تعارض ، للحرية ؟؟

لا ، والف لا .

فان ما يحيط بالوطن العربي من اخطار ، لم يتعرض له وطن من الاوطان لا في القديم ولا في الحديث ، فغاية استعمار الامس ، هو نهب خيرات الشعوب ، اما اليوم وبالنسبة للعالم العربي ، فضياع للوطن ، واجلاء وتشريد للمواطن .

فليس بقدرة احد ، في هذا العالم العربي ، بله الادباء بقادر أن يقول أن هذه أشياء لاتعنيني ، انها تعنيه، وتعني ابناءه وذراريه .

هذه قضية واضحة يلتزم بها ، ويلزمون بها انفسهم ادباء العرب .

ولست في سبيل تعداد مثل هذه القضية ، فكلكم يعرف الكثير منها ، تعرفون ، بعد وقبل الغزوة الصهيونية، قضية الوحدة او الاتحاد ، او التضامن العربي .

هذه القضية ، التي كان يجب أن لا يرفع شعار ، قبل شعارها ، ولا يعلو نداء ، قبل التنادي اليها .

ولنختصر القول ، فمجاله اليوم ضيق ، في عالم يتطلب من أبنائه عملا ، فمن البلد الملزم والملتزم بالدفاع عن العرب وارض العرب ، والذي يقدم كل يوم وليلة ، الضحايا الغالية من شبابه الغالي . اقدم لكم اجمل تحية ، واذكر لكم ، ان ادباء مثلكم هناك ، رموا بالقلم واستبدلوا به بندقية .

وفي بلدي ينام الناس على الاخطار التي قد تأتيهم في الصباح وامنية اولئك الناس الطيبين ، ان يوفقكم الله ، أدباء العرب في جمع كلمة العرب ففي ذلك خلاصهم .

عمان **عبد الحليم عباس**

عقدة الشيطان

بقلم

عيسى الناعوري



عيسى الناعوري

— لن تستطيع أن تنسى ...

— بل يجب أن أنسى . ان في كياني كله عقدة شيطانية من جحيمك هذه . فاذا لم أنس ، دمرت حياتي بيدي بعد أن حاولت أنت تدميرها .

— رغبة النسيان نفسها عقدة شيطانية ، اذا أنت أصررت على اقناع نفسك بأن تنسى . لا تحاول . سالاحقك في يقظتك ونومك . سيلاحقك صوتي ، وجهي ، عيناي .. ستلاحقك مداعباتي ، وضحكاتي ، وستلاحقك ذكريات هداياك التي كنت تغمرني بها ، وكنت أنا كثيرا ماأحطمها أمام عينيك ...

—نعم ، كنت تحطمينها ساخرة ، وكنت أنا أتقبل سخريتك بصبر ، موهما نفسي أنها مداعبات منك ، لانني كنت أحبك . لم اكن أستطيع الفكاك من سيطرة حبك ، ولذلك كنت أتحمل كل مذلة راضيا .

— وهل تظن أن في وسعك أن لا تحبني بعد الآن ؟.. مسكين !!

وقهقهت قهقهة ساخرة عالية ، بينما نبيل يهز رأسه هزة الخيبة والالم المتفجر ، الجامع بين التمرد والاستسلام. ومن خلال القهقهة العالية عاد صوت سميرة يقول :

— الرجال دائما أطفال كبار ! ..

ولم يجب نبيل ، بل عاد يهز رأسه بألم وثورة وهو ينظر الى الارض ، ومع الالم والثورة محاولة تصميم ، محاولة مترددة حائرة . لقد كان في أعماقه صراع عنيف: انه يريد أن يتخلص من سميرة نهائيا .. أن يريح قلبه المتعب من الدلال اللعوب المذل . لقد تعب كثيرا مع هذه الغانية التي تمد له الحبل حتى نهايته ، ثم اذا به يمسك بالهواء بعد أن يظن أنه قد أوشك على بلوغ الارتواء . سنة كاملة منذ أن عرفها في النادي لاول مرة . في البداية كانت هي التي أطمعته بحبها : نظراتها المغرية الطويلة ، وألفاظها الرقيقة الناعمة،وابتساماتها العريضة الفاتنة ، كلها كانت دعوات صريحة لقلبه الباحث عن الحب بحثا جائعا نهما .

ونهضت سميرة وسارت نحو المطبخ . فاغتنم نبيل الفرصة وتسلل من الغرفة خارجا ، وترك الباب ينصفق وراءه بصوت مسموع . فهرعت سميرة تفتح الباب وتجري خلف نبيل منادية :

— نبيل ! نبيل ! عد .. لا تذهب !

ولم يرد نبيل ، بل مضى في طريقه مصمما على أن ينتهي منها الى الابد . وظل صوتها من خلفه ينادي :

— نبيل ! لا تكن أحمق ! لا تكن أحمق يا نبيل !اذا لم تعد الآن فلن أفتح لك الباب مرة أخرى ولو عدت باكيا ذليلا !

وظل صوتها ينادي ونبيل ماض في طريقه لا يجيب ولا يلتفت الى الخلف . فلما يئست سميرة من عودته ارتدت الى غرفتها ، وأغلقت الباب ، وجلست على حافة سريرها وهي تقول في نفسها :

ولد في ناعور عام ١٩١٨ ، وتخرج من المدرسة الاكليريكية اللاتينية في القدس . عمل في التدريس ، وموظفا في وزارة التربية والتعليم الاردنية حتى احالته على التقاعد بنهاية عام ١٩٧٥ .

انشأ مجلة « القلم الجديد » الشهرية التي عاشت سنة واحدة، وله اكثر من ٢٣ كتابا في القصة القصيرة، والرواية والشعر والبحوث والنقد .

شارك في مؤتمرات وندوات كثيرة ، عربية واجنبية. يحمل وساما من تونس وآخر من ايطاليا . منحته جامعة باليرمو في ايطاليا الدكتوراه الفخرية في الاداب هذا العام يتقن عدة لغات .

ـ يبدو أنه يريد أن يبرهن لي على أنه لم يعد طفلا كبيرا ، كما قلت له . لقد أذللت كبرياءه ، فهو يحاول الان ان يريني أن في وسعه أن يثور على المذلة ...

ثم انخرطت في قهقهة فاجرة ، وأردفت تقول وهي تنهض عن السرير :

ـ ولكنه لن يذهب بعيدا . سيعود قريبا جدا . سأعرف كيف أعيده ، فهو لا يستطيع أن يتخلص من حبي.

وجعلت تسير في الغرفة وهي تدمدم جزءا من أغنية فريد الاطرش :

ياريتني طير لاطير حواليك

مطرح ما تروح عيوني عليك

ما بخلي غيري يقرب ليك

يا ريت يا ريت ! لكن يا ريت

عمرها ما كانت تعمر بيت !

وصل نبيل الى منزله متجهما عابس الوجه والقلب، ودخل الى منزله في ثورة نفسية عنيفة تكاد تعميه عن رؤية طريقه . وتهالك على مقعد مريح بعد أن خلع عنه الجكيت وألقى بها على السرير ، ونزع ربطة العنق وقذف بها فوق السرير كذلك ، ولكنها انزلقت عنه الى الارض ، فلم ينهض ليرفعها ويعيدها الى السرير . وامتدت يده الى رف قريب ، عليه زجاجة خمر ، فكرع منها جرعة طويلة ، ثم أعادها الى مكانها من الرف ، ومسح فمه بيده .

ـ سأنزعها من حياتي . لن أسمح لها بأن تعبث بي وتذل كبريائي بعد الان .

ولكن صوتا في أعماقه يشبه صوتها يرد عليه ساخرا، ويكاد يسمعه مجلجلا في أذنيه :

ـ ولكنك تحبني ... تحبني ... تحبني ... ولن تستطيع أن تنزع حبي من قلبك بهذه السهولة ...

فيقول نبيل باصرار :

ـ حماقة الحب يجب أن أنتهي منها .. المرأة عقرب حتى في أحسن حالاتها ... عقرب لداغة غادرة ! ..

ويجيب الصوت في أعماقه :

ـ عقدة الشيطان هذه لا تستطيع أن تحلها بسهولة. انها أقوى منك ومن ارادتك ...

ـ كفى أيتها العقرب اللعينة !انني لست طفلا كبيرا، كما تقولين ... سأريك أنني رجل حقا ... سأسحقك بقدمي سحقا كالافعى الخبيثة ! ..

ومضت أيام كانت سميرة خلالها تتوقع كل ساعة أن ترى نبيلا داخلا عليها كالطفل التائب ، يحمل في يديه الهدايا الثمينة المعتادة لكي يسترضيها . انها واثقة من أنه لا يستطيع البعد عنها كثيرا ، فهو يحبها حتى العبادة.

ولكن الاسبوع الاول مضى ولم يدق نبيل الباب عليها ، كما كانت تتوقع وتمني نفسها . فبدأت تشعر بأنه جاد في تصميمه على نسيانها . فرفعت سماعة التليفون وأدارت الارقام . وجاء صوت نبيل من الطرف الثاني يقول :

ـ هالو ...

فقالت سميرة بلهفة :

ـ نبيل ...

وعرف نبيل صوتها ، فرمى السماعة من يده غاضبا، بينما استمرت هي تنادي :

ـ نبيل !.. نبيل ! .. هالو نبيل !..

ثم يئست من الجواب ، فوضعت السماعة من يدها ونهضت قانطة كئيبة . وراحت تعيد الكرة في الايام التالية مرارا ، فلم يكن حظها فيها أفضل مما كان في المرة الاولى.

اذن لقد تمردت ارادته حقا هذه المرة ... انه جاد في محاولة نزعها من حياته ، فما عاد يريد ان يراها ، ولا ان يسمع صوتها في الهاتف .

ومرت ثلاثة اسابيع أخرى . ورأته سميرة مرة في الطريق ، فاقتربت منه تريد ان تحادثه ، وقالت له بصوت رقيق :

ـ نبيل !.. كيف حالك ؟

فالتفت نبيل نحو مصدر الصوت ، فلما رآها ، رماها بنظرة احتقار ، وأسرع يبتعد عنها دون ان يقول كلمة •

وعادت سميرة الى بيتها قانطة ، وارتمت على سريرها تبكي بدموع حقيقية حارة • انها هي التي لا تستطيع ان تنساه • لقد أذلت كبرياءه طويلا ، وها هي الان تلقى جزاءها العادل ، وتتحطم كبرياؤها امام كبريائه • انها لتشعر بأنها تحبه •• تحبه حبا صادقا حارا لم تكن تشعر به من قبل • عقدة الشيطان انتقلت اليها هي الان ، فهي في حاجة ماسة اليه • انها تريده من كل قلبها • لو عاد اليها الان لارتمت على قدميه تبللهما بدموع التوبة •

وعادت ترفع السماعة وتدير الارقام • وسمعت صوت نبيل في الطرف الاخر يقول :

— هالو ••••

ولكنها بدلا من ان تتكلم انخرطت في البكاء والنشيج ، بينما عاد صوت نبيل يرد من الطرف الاخر :

— هالو •• هالو ••

وأدرك من نشيجها أنها هي • فقال بصوت غاضب:

— الدموع الكاذبة لن تخدعني •• لن تخدعيني بها بعد الان ••

ثم القى بالسماعة من يده بعنف • اما سميرة فقد سقطت السماعة من يدها ، وظلت متدلية الى الارض ، بينما استدارت هي ودفنت وجهها بين راحتيها على السرير ومضت تنشج وتبكي بيأس محرق •

في صباح اليوم التالي كان نبيل جالسا الى مائدة الفطور وهو يطالع احدى صحف الصباح • وفجأة وقفت اللقمة في فمه ، وحملقت عيناه في الصحيفة في ذعر شديد، وسقطت كسرة خبز كانت في يده على المائدة •

كان في الجريدة صورة سيارة وامامها سيدة مطروحة على الارض مضرجة بالدم ، ورجال كثيرون من حولها • وتحت الصورة اسم « السيدة سميرة مرزوق الشيال » ، ونبأ يقول انها كانت تعبر الشارع شاردة الذهن ، فصدمتها السيارة صدمة عنيفة ، فسقت على الارض ، واصيبت بكسر في احد ساقيها وفي بعض اضلاعها ، وبجرح عميق في رأسها ، وقد نقلت الى المستشفى فاقدة الوعي والدماء تنزف منها • وقد أسرع الاطباء بنقل الدم اليها لكثرة ما نزف من دمها •

كان الخبر صدمة عنيفة في نفس نبيل، فقد أعاد اليه حبه الماضي بكل عنفه القديم •

حقا ، لقد حاول أن يكرهها خلال الاسابيع الاخيرة انتقاما لكبريائه التي طالما اهانتها ، وحاول ان ينزعها من حياته • أما الآن فانها في حاجة اليه كما يحتاج هو اليها ، ولعلها لولاه ما كانت لتصاب هذه الاصابة — وقد تكون محاولة انتحار متعمدة ، من يدري ؟ — يجب ان يذهب الى المستشفى ليراها• انه يحبها مهما حاول ان يتظاهر بكرهها، ومهما حاول اذلالها ببعده وجفائه •

ونهض عن المائدة مسرعا، وقذف بالجريدة الى الارض وارتدى ثيابه مضطربا في حركات عصبية سريعة ، ثم غادر المنزل ، وركب اول سيارة عابرة ومضى الى المستشفى •

كانت سميرة ما تزال غائبة عن الوعي ، فلم يسمح لنبيل بالدخول لرؤيتها • ولكن الطبيب طمأنه الى انها ستسترد وعيها قبل الظهر • فلم يغادر نبيل المستشفى ، بل ظل يذرع الممر الطويل مضطربا طوال الوقت ، وكلما دخلت ممرضة الى غرفة سميرة او خرجت منها أسرع اليها ليسألها عنها بلهفة شديدة مضطربة :

— كيف حالها الان ؟ ارجوك ! •• هل صحت من غيبوبتها ؟

وفي نحو الساعة الحادية عشرة فتحت الممرضة باب غرفة سميرة ، فهرع اليها نبيل ملهوفا • وقبل ان يسألها بادرته بقولها :

— لقد صحت الان • بعد نصف ساعة يمكنك أن تراها •

فهتف من أعماقه :

الحمد لله •• الحمد لله ••!

حين أذنت الممرضة لنبيل بالدخول الى غرفة سميرة ، أحس بساقيه تتخاذلان وتكادان لا تحملانه • انه يكاد لا يصدق انه سيراها حية • ولكنه حينما وصل الى قرب سريرها والتقت عيناه بعينيها الذابلتين بين الاربطة والضمادات المحيطة برأسها ، رأى في عينيها بريق الغبطة المنتزعة من براثن الالم الشديد ، وعلى شفتيها ابتسامة راضية تنتزعها انتزاعا •

وانحدرت دموع نبيل حارة متلاحقة وهو يقول لها:

— الحمد لله على السلامة ! سامحيني يا حبيبتي !

ورد صوتها خافتا متقطعا :

— بل سامحني •• أنت •• يا نبيل ! •• سامحني •• لم •• أكن أعرف انني •• أحبك •• الى هذا الحد ! ••

عيسى الناعوري

وظائف الفن والكتابة الجادة

عيسى الجراجرة الضمور



عيسى الجراجرة

كنت قد قرأت خاطرة لاحد الكتاب الاردنيين الذين يكتبون للصحافة اليومية ، بالطريقة المتعجلة المتسرعة وقد بدأ الكاتب خاطرته على طريقة الواعظ المتعالي (قال صاحبي) ، او هو بدأها على طريقة المرحوم عميد الادب العربي طه حسين (قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى) .

وانتهت هذه الخاطرة بالعبارة الغريبة التالية «فلماذا يقولون عندما يعبرون عن بشاعة الانسان ، انه وحشي النزعة ، بودي ان يقول البعض « مع ابقاء كلمة بعض محلاة بأل وهو خطأ لغة) عن بعض الوحوش أن فيها انسانية الوحش » .. وهو يعتقد ان في كلامه هذا معنى ومنطقا . وهو يود بهذا التخليط والاسفاف ان يرتفع بالوحوش والحيوانات الى ارفع وانقى ما في الانسان وهي انسانيته .

وهذا جعلني احاول ان استقصي وظائف الفن والكتابة في الحياة واستعنت بآراء ووجهة نظر الفيلسوف والمفكر الفرنسي شارل لالو ، لان الكتابة الجادة تشكل جزءا من الفن (بمعناه العام الشامل) اعني الاعمال التي فيها الابداع والخلق والتجديد ، تبشيرا وتمهيدا لتغيير واقع الحياة نحو الاحسن والافضل . وهنا تتضح القضية ، وتأخذ ابعادها بعد طرح السؤال التالي : « ما هي وظيفة الفن في الحياة والكتابة من الفن في الصميم . وبعد توضيح ماهية الفن في الحياة وحدودها وأبعادها والعلاقة بينهما سوف يتضح سبب عجبي ودهشتي واستغرابي لتلك العبارة التي أنهى بها الكاتب الخاطرة التي تتكون من ثلاث فقرات صغيرة والتي تفتقر الى المنطق وأبسط الروابط فيما بينهما .

واذا اردنا ان نطرح علاقة الفن بالحياة طرحا علميا وبالحدود المنهجية الخاصة بعلم الجمال وعلم النفس وعلم الاجتماع ، ذلك ان للفن على الانسان المتلقي تأثيرا وايحاء ومع ان كل ايحاء هو امر مبهم مبدئيا ، ولكن هذا التأثير والايحاء الناجم عن الفاعلية الفنية يؤدي في الحياة ادوارا خمسة جد مختلفة ، كما يقول الفيلسوف والمفكر الفرنسي « شارل لالو » في كتابه (الفن والاخلاق) ترجمة الدكتور عادل العوا — ص (١٥٧ — ١٦٨) .

ويحدد (شارل لالو) ادوار ووظائف ايحاء الفاعلية الفنية ، بالوظائف الخمس التالية :

١ — مضاعفة الحياة الراهنة : فالاثر الفني يكون بمثابة مضاعفة الحياة الراهنة وما فيها من مواقف مضيئة خيرة فاضلة أي انه يشبه الحياة والخصائص التي ينتجها الاثر تبعث على الاعجاب بهذه النواحي المضيئة والخيرة والفاضلة أي ان الفن وما ينتج من ايحاء يتجه نحو خير الحياة ، بتمثل الخير ، وبتكرار الخير اعظم من تكرار الشر ، ويعزو الى الخير قوة حقيقية اعظم من الشر ، وان يختصه اخيرا بالشيوع ، والانتشار والفوز .

٢ — وظيفة تمجيد الحياة واكمالها : بصور هي نماذج القاعدة العامة ، على ان يكون النموذج المقترح صالحا مثلما هو جميل ، وعلى ان لا يكون هذا النموذج كذلك مسرفا في النقاء والبعد ، والمثالية ، مما قد يثبط همة الضعفاء ، ويثير اشمئزاز مرهفي الحس من الحياة الواقعية .

٣ — عندما تصبح وظيفة الفاعلية الفنية كترف

عيسى حسن الجراجرة الضمور

رئيس قسم الاعلام التربوي في وزارة التربية الاردنية . ولد في الكرك ، ودرس في جامعة دمشق ونال منها اجازة في التاريخ ، ودبلوم الدراسات العليا في التربية وعلم النفس من الجامعة الاردنية .

له مقالات وبحوث في النقد والتربية والفنون الشعبية ، نشرت في الصحف والمجلات الاردنية والعربية .

بالاضافة الى الحياة الجدية ، أي ان الفن يقوم بـدوره الايحائي على هامش ميولنا الرئيسية من اجل ان يريحها ويحمل اليها الاستجمام · (ص ١٦٠) من المصدر المذكور

٤ ـ الفن من اجل الفن : وهنا لا يصبح المقياس مدى ايحاء جمال الموضوع الذي تعالجه اللوحة ، و مدى ايحاء فحوى الرواية او القصة او الشعر هو المقياس الاخير الذي لا مقياس بعده لأن الموضوع في نظر الفنان لا يمكن وصفه بأنه صالح أو طالح ، وانما تكون معالجته وحدها من حيث الجودة والابداع جماليا هو الحكم والفيصل وكل ما بقي في العالم يمحي في لحظة التقييم تلك ، وتكون هناك لحظة نسيان للحياة الجدية ، وهـذا ما يستهدفه العمل الجمالي ·

٥ ـ تطهير الاهواء : وهنا تصبح وظيفة الفاعلية والاثر الفني تطهير الاهواء بتفريغ البقايا النفسية ، لان احتواء الاثر الفني لها يجعل المؤلف او الجمهور يتخفف من وزر هذه البقايا ، شريطة ان تكون هذه البقايا اشد ضرا من الشر ذاته ، فالمؤلف يودع اثره العواطف التي يريد طردها من حياته ، والتي قـد تصيبه بوسواس خطـير اذا لم يتخلص منها بهذه الطريقة ، كما صنع (جوته الالماني) عند تأليفه « الام فرتر » فيفعل الاثر الفني فعل العلاج الذي يهدف الاطباء من وراء اعطائه للمريض الى طـرد السموم والجراثيم التي افرزتها ، من جسمه ، بـدون اتلاف الجسم · ويمكن القول باختصار ان انتصـار الشر الرمزي في الاثر الفنـي يوفر على الحياة انتصارا له حقيقيا ، ويجعل مثل هذا الانتصار للشر امرا بعيـد الاحتمال كما يوفر الفزع والجزع الذي ينتاب الواحـد من بني البشر من اقتراف امر شنيع في الحـلم والمنام ، غواية الوقوع فيه وممارسته في الواقـع والفعل ، ودون الانزلاق الى الحضيض فيما يؤدي اليه الاثر الفني من ايحاء والذي اشار اليه الانجيل ، وحدده ارسطو انطلاقا من نزعة واقعية قوية عندما قال «قد يتفق ان يعود الكلب الى قيئه» بدل ان يقرف منه ·

وهنا تتضح رسالة الكاتب ، والباحث الاخلاقـي والمشرع ، في التمييز في كـل حالة وفي كل اثر فني بـين « ما ليس سوى كلبية ، وبين ما هو انساني حقا » ·

بعد هذا العرض السريع المبستر لوظائف الاثر الفني في الحياة وايحاءاته فاني لم اجد واحـدة من التصنيفات والفئات الخمس السابقة يمكن ان تفتح ابوابها ، للترحيب بهذه الخاطرة ، مع التجاوز والتساهل باعتبارها نتفـة متهاوية من اثر فني · وما انتهت اليه من اسفاف وتخليط ، عندما قال بوده (ان يقول بعض الناس عن الوحوش ان فيها انسانية الوحش) أي يود بهذا التخليط ان يرتفـع بالوحوش الى ارفع وانقى ما في الانسان ، أي انسانيته ·

ولعل سبب هذا كله هو فهم خاطىء لوظائف الاثـر الفني والفاعلية الفنية وهو كفهم الدب ، لدفع الاذى عن الصديق ، عندما بقر بطن صديقه واستخرج احشاءه رغبة منه في دفع اذى الذبابة عنه عندما حطت على جسد صديقه المسكين · او لعل فهمه لوظائف الاثر الفني والفاعليـة الفنية في الحياة ، كفهم مدرس ورئيس قسم في احـدى كليات الجامعة الاردنية لسوء حالة زملائه المعلمين طالبـا منهم التجمل بالصبر ، لوجود من يشبههم في سوء الحال ، وعظم الدور وضرب المثل قائلا « ان المعلمين في المجتمـع الانساني كالحمير في المجتمع الحيوانـي ، مـع اعتذاره الشديد للحمير » ولا ادري هنا سبب الاعتذار ، !! وهل هو بسبب تشبيه قطاع كبير من المعلمين البشر بها ؟؟ الجواب على هذا السؤال عند «فهمان» الذي اجترأ على هذا الاسفاف والتخليط كذلك ·

وكما انه لا يمكن قبول فهم الدب للصداقة والمدرس لسؤ حالة الزملاء واشفاقه عليهم · فانه لا يقبل لصوصية اللص الذي يسطو على البيوت ويروع الآمنين لتوزيعـه القسط الاوفر فيما بعد من ريع سرقاتـه وسطوه عـلى الفقراء والمساكين كما لا يمكن تبرير الرذيـلة بدعوى « الاحسان وفتح الملاجىء لليتامى واللقطاء » والامثـلة كثيرة ·

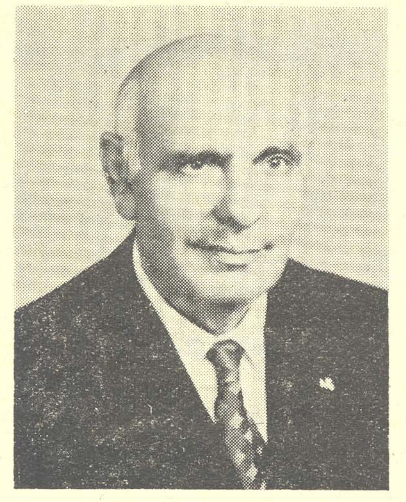
وغاية القول ان للفن ، وللفاعلية الفنية ، والكتابة منها في الصميم ، وظيفة في الحياة · وحتى يقوى المتصدي لها ، على العطاء ، العطاء القادر على اثراء واغناء الحياة ، يحسن ان يتحلى هذا المتصدي للكتابة بمتطلباتها ، ويقوى على النهوض بأعبائها ، اعباء الكتابة ، ويحيط باهدافها ووظائفها ، ويسلس له قياد وسيلة التعبير (اللغة) ·

اما السفسطه والسطحية والوعظ المتعالي الفارغ ، فهي كتابة وجهد على غير طائل ، يستنزف وقتنا ، الـذي ندخره ونرجوه لما هو اجدى واكثر نفعا ·

والله وراء كل قصد ··

الكرملي في ذكراه

روكس بن زائد العزيزي


روكس العزيزي

● **وفاة الاب الكرملي !**

تناقلت أسلاك البرق في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٤٧ ، نعي الاب (انستاس ماري الكرملي)، فابرقت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية الى (بغداد)معزية، وطلبت الاحتفاظ بخزانة كتبه ! لما فيها من نوادر المخطوطات ، ونفائس الكتب ! ..

والاب الكرملي ليس اسمه غريبا عنا في (عمان) فكلما مرت بنا السيارة من الشارع المسمى باسمه ، ذكرنا الجهاد المخلص الذي بذله هذا الرائد في سبيل لغتنا التي شرف الله ذكرها ! ..

● **الاب الكرملي من هو ؟**

هو الراهب الكرملي الحافي ، لبناني الاصل ،عراقي المولد ، والنشأة . اذا ذكر الذين خدموا العربية من اقدم عصورها الى الان ، برز اسم الاب الكرملي في طليعة الرواد، الذين قضوا اعمارهم في خدمتها ، والغيرة عليها ، فقدنا ناسكا من نساك البحث والتحقيق . فهو صاحب النظريات الرائدة الفريدة : —

أ — النظرية الثنائية .

ب — نظرية التناظر ، والتأصيل .

ج — النظرية القائلة ان اللغة العربية هي مفتاح اللغات .

وصاحب (المساعد) وصاحب (لغة العرب)فالمساعد اوسع المعاجم العربية ، ولغة العرب كانت فريدة بين المجلات ، فقد كانت اعدادها تترجم الى لغات عدة ! ..

روكس بن زائد العزيزي

من عشيرة العزيزات ، التي ترجع باصلها العريق الى ابني شيبان العربية . ولد في مادبا ، وعلم اللغة العربية وآدابها ستا وخمسين سنة دون انقطاع .

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان منذ عام ١٩٥٦ ، وانتخب عضوا في مجالس وجمعيات كثيرة ، عربية وأردنية . له مؤلفات كثيرة في التاريخ ، وتاريخ الادب ، واللغة والقصة والتراجم . وله بحوث ودراسات في مواضيع مختلفة ، نشرت في مجلات كثيرة ، ولعل من أهم كتبه « قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية » .

أما مؤلفاته التي هي تحت الطبع ، فتزيد على العشرين كتابا.

● **صلتي بالاب الكرملي !**

نشرت سنة ١٩٢٨ مقالا في مجلة (الاخاء) التي كان يصدرها في (القاهرة) الاستاذ المرحوم (سليم قبعين) ، انتقد فيها (المنجد) ، فاذا الاب (انستاس ماري الكرملي) يتنبه لمقالي ، ويطلب من تلميذه وصديقه العلامة المرحوم (مصطفى جواد) ان يرد علي ، وقد استمرت المساجلة بيننا سنة من سني المجلة ، كان فيها مناظري ، مثال العالم المحقق • توقف النقاش اللغوي ، فتحولت الى البحث عن اسرار (نكبة البرامكة) ، فلم ادع مرجعا وصلت اليه يدي ، الا اطلعت عليه ، حتى كلفت بعض أصدقائي ، اعطائي خلاصات عما كتب على الموضوع في المراجع الالمانية والفارسية • ــ لكني توقفت عند بعض النقاط ، فلم اجد لي ملاذا الا الاب الكرملي ! ••

كتبت اليه ، وانا خائف ان يهمل رسالتي ، لكن لم تمض ايام ، الا وجوابه بين يدي ، رسالة مطولة ، تنير لي سبيل البحث • وقد اشترط في رسالته تلك ، ان اعيد اليه الرسالة ، او نسخة عنها ، اذا اردت ان تظل المراسلة موصولة بيننا ، فاحتفظت بخطه ، ونسخت له البحث وأبردته اليه ، بالبريد المضمون • وهكذا ، ظلت المراسلة والصداقة بيننا موصولة الحلقات ، من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٧ ، يوم لبى نداء ربه ، بعد ان قرأ اصول كتابي (سدنة التراث القومي) الذي اثبت فيه ترجمة لحياته ، ووصفت حفلة تكريمه في المدينة الخالدة ! (القدس)•

● **الكرملي في القدس**

جاء الاب الكرملي الى القدس ، في شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٦ ، مستشفيا ، وكان يتوقع من الاباء الكرمليين في (بغداد) ان يرسلوا له بالمال اللازم للمعالجة •• لكنهم لم يفعلوا • ولعزة نفسه ، لم يذكر لي ذلك لاتلميحا ، ولا تصريحا ، ولم أعرف ذلك ، الا بعد وفاته ، من صديقه ــ في بغداد ــ البحاثة المرحوم (يوسف يعقوب مسكوني) في رسالة مخطوطة منه ، الي ••

حقا ، ان الصحافة الفلسطينية العربية ، والاجنبية قد احتفت به ، ونوهت بجهوده ، واقيمت له حفلة تكريم كبرى ، في (النادي الكاثوليكي) في (القدس) ، ترأسها سيادة الشريف (حسين بن ناصر) ــ قنصل العراق في (القدس) ، يومذاك ــ وقد غص النادي وحديقته وساحاته بالحضور ، من العلماء والادباء ، وبرجالات البلاد ، فكان من خطباء الحفلة : ــ

أ ــ المرحوم الدكتور قدري طوقان

ب ــ والدكتور نقولا زيادة

ج ــ وعبد الله مخلص ، الذي حال مرضه دون حضوره فتليت كلمته عنه •

د ــ وصاحب هذا البحث

هـ ــ ورئيس النادي الكاثوليكي

و ــ وتليت قصيدة ارسل بها المرحوم ــ العلامة ــ نديم الملاح •

ز ــ وارتجل الشاعر سعيد العيسى أبياتا •

وقد بلغت الحفلة حد الروعة ، ختمت بكلمة ارتجلها الاب المحتفي به ، اعجب بها الحاضرون ، ايما اعجاب ! ••

وقد كان ممن حضروا الحفلة ، العلامة المرحوم (اسعاف النشاشيبي) على الرغم من سوء حالته الصحية ، وعلى الرغم مما كان بيني وبينه من خصومة ادبية ، كان سببها تعرضي لأدبه بالنقد القاسي ! ••

وفي الاسبوع التالي ، اقام سيادة الشريف (حسين بن ناصر) حفلة تكريم ــ في دار القنصلية ــ للاب الكرملي تجلى فيها كرمه ، وسماحة نفسه !

● **الاباء الفرنسيسيون ارادوا تكريم هذا الاستيام**

وقد سعى الاب (البرت روك) ــ العربي الصليب ــ

● **من المحزن ان رسائله الي ــ بخط يده ــ كل تلك المدة ، قد عبثت بها ايد اثيمة ، يوم نهبت داري وخزانة كتبي ــ في القدس ــ ايام محنة العرب العظمى سنة ١٩٤٨ •**

ان يجعل الاباء الفرنسيسيين يكرمون الكرملي ، فوافق المجمع على طبع معجم الاب (المساعد) • وقدرت نفقات طبعه سنة ١٩٤٦ بخمسة عشر ألف جنيه فلسطيني ، ليتم طبعه على ورق ممتاز مصورا بالالوان الطبيعية ، على غرار معجم (لاروس) الكبير ، وطلب مني المرحوم الكرملي، ان اشرف على طبعه وتحقيقه ، وتصحيحه ، واشترط علي ان لا اقطع صلتي بـ (كلية تراسانتة) المقدسية ،فانتدبت للامر • فوعد سيادة الشريف (حسين بن ناصر) ان يحضر مخطوطات المعجم من (بغداد) بالحقيبة السياسية • لكن حكومة العراق – او – على الاصح وزارة المعارف العراقية – ابت ان يتولى طبع هذا المعجم اناس غير عراقيين ! ••

● **اشاعات : –**

ويوم لقي الاب الكرملي ، أشاع بعض منافسيه من رجال الدين الكاثوليك ، ان (معجم المساعد) خرافة، وانه اسطورة نسجها خيال الاب الكرملي الخصب • فكتبت – يومذاك – الى وزير المعارف العلامة (بهجت الاثري) اسأله عما في تلك الاشاعة من عناصر الصدق ، فاجابني ان المعجم موجود ، وان النية متجهة الى طبعه ! ••

● **خدمة الاب الكرملي للعربية ، وروافد تلك الخدمة:**

بدأ الاب الكرملي خدمته للعربية ، وهو في الرابعة عشرة من عمره ، فهام بها هياما ، أثار عليه حفيظة أصحاب العقول المصمتة – من رجال الدير – حتى قال قائلهم : « هذا كاهن مسلم ، يعتمر فلنسوة راهب،وحبذا لواستبدل بها عمامة ، ليبدو للناس شيخا معمما ، ليناسب شكله فعله ! ••

وقد اعانه في هذه الخدمة المخلصة للعروبة والعربية، صبر لا يمل ، وارادة قوية لا تفل، وثقافة غنية، تعتمد على هيام باللغة العربية ، لانه كان يراها اسمى اللغات ، واعظمها ، واكملها ، وان معرفتها مفتاح لكل اللغات ، وان اتقانها هو السبيل الى اتقان أية لغة من السامية ، والآرية ، فكان يجيد مع العربية : اللاتينية ، الفرنسية • الايطالية • الاسبانية • الانجليزية ، العبرية ، الحبشية ، الفارسية ، التركية ، الارمية ، الصابئية •

وتعلم الارمنية ، يوم نفاه الترك العثمانيون – ابان الحرب الكونية الاولى – الى (قيصري) ووضع لمخارج حروفها اصطلاحات ورموزا بالعربية ، كانت موضع تقدير عجيب من القوم !

● **محاربته للعامية : –**

ولشدة غيرته على ام اللغات ، حارب العامية ، فلم يرحم خطأ لاحظه ، ولو كان ذاك الخطأ فيما يكتبه أحب الناس اليه • حتى روي عنه ، انه كان يتجنب المرور في شوارع (بغداد) التي كتبت بعض لافتاتها بلغة مخطوء فيها •

● **قراءته للمعاجم العربية المشهورة : –**

ذكر لي – يرحمه الله – انه قرأ (لسان العرب) ثلاث عشرة مرة ، وقرأ (قاموس المحيط) عشر مرات ، وقرأ (تاج العروس) ثلاث مرات • أما محيط المحيط ، للمرحوم (بطرس البستاني) ، فلم يكتف بقراءته مرارا ، بل اشترى نسخة منه ، وفض غلافها ، ووضع ورقة بيضاء ، بعد كل ورقة مطبوعة ، فكان يستدرك على المعجم صفحة ، صفحة ، وقد استقام له من استدراكاته على محيط المحيط ، والمعاجم العربية ، معجمة (المساعد) •

تواقيع الاب الكرملي المستعارة ، وحكمته فيها : –

كتب الاب الكرملي في ارقى المجلات ، والصحف ، في البلاد العربية ، وفي خارجها ، وكان يوقع ما يكتب بتواقيع مستعارة ، وباسمه الصريح • وقد بلغت تواقيعه المستعارة تسعة وثلاثين توقيعا ، منها :

١ – ابو الخير – فهر بن جابر الطائي – كان يوقع به مقالاته في مجلة (المقتطف) •

٢ – باحث ، في المباحث •

٣ – بعيث الخضري – ترجمة انستاس – كان يوقع به

في (صوت الحق) و (المسرة) و (المشرق) .

٤ ــ عراقي بغدادي ، في مجلة المقتطف .

٥ ــ مستفيد ، في مجلة المقتطف .

٦ ــ كلدة ــ في مجلة المعلمين والمقتطف .

٧ ــ معتدل ــ في مجلة الاعتدال .

٨ ــ محقق في مجلة المجمع العلمي العربي في ــ دمشق ــ .

وقد كانت حكمته في استعمال هذه التواقيع المستعارة، مبنية على الاغراض التالية :ــ

أ ــ تسهيل النقد على الناشئين من الكتاب والمتأدبين ، يوم يتوهمون ان في الذي كتبه خطأ . لانه لو اظهر اسمه الحقيقي ، لتهيب الكتاب مناقشته . وليسهل على نفسه الرد عليهم .

ب ــ تحاشي غضب رؤسائه من غير العرب ، لانهم كانوا غير راضين عن هيامه باللغة العربية ، وكانوايخافون من تعطيل مصالح الدير ، اذا انتقد احدا من ذوي النفوذ . ــلان الناس في بلادنا ، لايفرقون بين اختلاف الرأي وبين الخصومة . اوهم لايفرقون بين الخصومة الادبية ، والخصومة المادية .

ج ــ الخوف من ان يتهمه رؤساؤه بمعاونة الكفر والالحاد، لان هؤلاء الرؤساء كانوا ينظرون الى مجلة(المقتطف) ــ العلمية ــ نظرة ريبة ، لانها كانت تنشر ابحاثا تمجد نظرية (دارون) ، في النشوء والارتقاء . فكانت التواقيع المستعارة ، المنقذ الوحيد له ، من كل تلك المزالق .

● **اشهر مؤلفات الاب الكرملي :**

لا اريد ان اخوض في بحوثه ومقالاته ، التي تعد بالمئات ، ويحتاج احصاؤها وحده الى كتاب خاص ، لكني ساقف عند :

١ ــ معجمه (المساعد)

٢ ــ مجلته (لغة العرب)

٣ ــ كتابه الفذ (نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها)

٤ ــ اغلاط اللغويين الاقدمين .

اما معجمه (المساعد) فثروة ، لا بل كنز من كنوز العلم والادب ، وهو (معلمة) كبرى ، فريدة في بابها . واوسع المعاجم العربية ، وادقها اطلاقا . ولحسن حظ العربية ان وزارة الاعلام العراقية ــ مديرية الثقافة العامة ــ تولت نشره ، وقد ظهر منه فعلا ، الجزء الاول ، والجزء الثاني ، بتحقيق العالمين الجليلين :

أ ــ كوركيس عواد ،

ب ــ وعبد الحميد العلوجي .

واليك نموذجا منه :

● **(الادب) : ــ (٦)**

ان لفظتي (الادب) و (الاديب) ، ليستا من كلام العرب ، بل هما من الدخيل فيه . وان لهما معاني قديمة، غير المعاني التي صارت اليها مع تتابع القرون . فمعنى الاديب في عصر الجاهلية واوائل صدر الاسلام : الطيب الحديث ، الحسن الصوت ، المؤنس ، الرقيق . ومن الاديب اشتقوا الادب قياسا على ان (فعلا) يؤخذ غالبا من (فعل، يفعل) بضم العين ، ويكون مصدره غالبا على (فعل) . فاذا كان كذلك ، فاللفظ اليوناني المعرب عنه اللفظ العربي هو EDEPES وهي كلمة مركبة من حرفين من EDUS اي طيب وعذب ولذيد ، ومن EPOS أي كلام ومنطق وخطاب ، فيكون محصل المعنى ما ذكرناه اما ان معنى الاديب جاء في سابق العهد بهذا المعنى ، فهو مما نراه واردا في الشعر القديم . وقد انشد اسود بن ابي خزيمة ابيانا لاعرابي ، قال :

وانى على ما كان من عنجهيتي ،

ولوثـة اعرابيتـي لاديب !

فانك لو اخذت بالمعنى الذي يريده الفضلاء اليوم ، لقلت : « ان في كلام الاعرابي مضادة بينة . »

اما ، اذا ذهبت الى ما نذهب اليه ، انصفت الاعرابي في مقاله .

وقال (كعب بن سعد الغزي) :

حبيب الى الـزوار غشيان بيته
جميل المحيا ، شب وهو اديب !

وقال (بزرجمهر) : « ليت شعري ، أي شيء ادرك من فاته الادب ، واي شيء فات من ادرك الادب ؟ » ٠

وقال (ابن عائشة القرشي) : « اهل الادب هـم الاكثرون وان قلوا ، ومحل الانس اين حلوا ٠ »

وقال (خالد بن صفوان) لابنه : « يا بني ٠٠ الادب بهاء الملوك ، ورياش السوقه ، والناس بين هاتين ، فتعلمه تجده حيث تحب ٠ »

وقيل الادب ، وسيلة الى كل فضيلة ، وذريعة الى كل شريعة ٠

فهذه الاقوال ، من شعر ونثر تدل دلالة بينة على أن الادب بالمعنى الذي صيره اليه المحدثون ، لا يوافقه البتة ، بل يوافقه المعنى الاصلي الذي وضعه له اليونان !٠٠

اذن ، فليس لمادة (ادب) نسب في اللغات السامية ، ومن ثم ليست عربية الاصل ٠ وسبق اليونان سائر الامم الى وضع ما يختص بالادب وقوانينه ، والاديب وصفاته، لا معانهم في الحضارة والعلوم العقلية واللسانية بخلاف السلف ، فانهم بقوا قرونا طويلة بادية ، ولم يتوصلوا الى ما عـرفه اليـونان الا بالاحتكاك بالغرباء والتحضر الصادق ٠

ومن الخطأ ان يقال ان الادب بمعنى الظرف او ما شابهه ماخوذ من الادب بمعنى القرى على ما ذكره الاستاذ (مصطفى صادق الرافعي) في كتابه (تاريخ آداب العرب ١ : ٢١ وما يليها) ٠

فالاديب بمعنى الظريف يوناني صرف ، وليس عليه من الغبار العربي شيء البتة ٠ والادب بمعنى الدعوة الى الطعام ، يوناني ايضا ، لكن ، من مادة اخرى وهي EDO والدليل على ما نقول ، اختلاف لغة الادب (الادب) بصور شتى منها :

١ ـ آدم: لان الباء في الاخر تقرب كثيرا من الميم(٧) لقرب مخرجيهما ، مثل الظاب والظام ، والرحبة والرحمة، والساسم والساب ، وغيرها (راجع المزهر ١ : ٢٢٣ و٢٢٤ من طبعة بولاق)

٢ ـ غذم : يقال غـذم الشيء ، اكله بنهمة ، او بجفاء وشدة ٠ والمعنى الاصلي اليوناني ظاهر مع زيادة هي على رأيي من مخلفات اللغويين ، وما اكثرها عندهم٠

٣ ـ غدي : لماكانت الالف اليونانية الممالة الى الواو أو الممالة الى الياء E كثيرا ألفا أو ياء عند التعريب ، والهمزة في الاول كثيرا ما تفخم وتقلب عينا على لغة، وغينا على لغة أخرى ٠ قالوا : « EDO » غـدي ٠ ومنـه غدي الرجل ، يغدي غدا : اكل اول النهار ٠ وهذه الزيادة من اوضاع البعض، لتقريب معنى المادة من الغدوة ، وجعل المادة عربية ، وهو بعيد ، مهما قاله وكرره اللغويون الى يوم البعث ٠

٤ ـ غذى ـ : وقالوا ايضا غذاه بالغذاء ، يغذيه غذوا : ـ اعطاه الغذا ، وهو ما يغتذي به من الطعـام والشراب ٠ والاصل باق على حاله اليوناني ٠

٥ ـ عدف : وفخموا حـروف (ادب) بمعنى اكل فصارت (عدف) ومعناها كاليوناني ٠

فصار عندنا من لغات اللفظة اليونانية : ادب وعدف وغذم وغدى وغذى ، وكلها لم ترد في اللغات الساميـة الاخوات ، فهي يونانية ، وان لم يقل بها احد من اللغويين او ينطق بها احد من الشيوخ او رويت عنهم ٠

واذا رجعنا الى الاخذ بالرواية والنقل عن الشيوخ بغير تمحيص اقوالهم ، فنكون قد رجعنا الى القرن الثالث للهجرة ، وتولانا الجمود بل الهمود ، ولم يبق للعقـل والبحث والتحقيق والاستقراء فضل ، او مزية ، او حصة ٠٠ وتلكم بلية عظيمة ، ليس وراءها بلية لو كنتم تعلمون، اذ من العبث ان نعطى هذه المواهب ولا نستعملها في مـا اعدت له ٠

وهل نعتبر الرواية شيئا ، وقد روي لنا ان الخندريس مشتق من الخدرشة وابليس من بلس ، واطربون من طرب، واسطرلاب من اسطر خطها رجل اسمه لاب ، والاسقف من سقف الى غيرها من الالفاظ الجمـة التي اولوها تآويل تضحك الثكلى وتميت الخالد ٠٠٠ ولا تجوز اليوم الا على من عاد الاخذ بالرواية شيخا عن شيخ ، ويعتمد على الاساس والشاهد والمشابهة ، الى ما افيض علينا من هـذه الدرر

الغوالي ، في مثل هذا العهد ، عهد التحقيق والتمحيص ، عهد النور والتمتع بمحاسنه ! (٨) انتهى المراد نقله

● نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها !

هذا كتاب مبتكر في اسلوبه ، لم يسبقه الى بحوثه سابق . وقد حاول المستشرقون وأده ، لانه اعظم شهادة لسمو اللغة العربية، ولكمالها . وقد اثار صدوره اعصارا في المحافل الادبية والعلمية ، يقع في مائتين واربعين صفحة من القطع الكبير ، ويشتمل على معجم يحوى الالفاظ المكتوبة بالحرف الروماني، من فرنسية ولاتينية وانجليزية، ومجمل بحوثه تسعة وثلاثون وخاتمة ، منها :

أ ـ تناظر العربية واليونانية ،

ب ـ تناظر العربية واللاتينية ،

ج ـ تناظر الفارسية واللغات المندثرة القديمة واللغة العربية ،

د ـ تناظر اللغات السكسونية والعربية .

● مجلة لغة العرب :

صدر منها تسع مجموعات ، وكانت اكثر بحوثها تترجم الى اللغات الحية، وقد قررت وزارة الاعلام العراقية اعادة طبعها ، فتولت ذلك مديرية الثقافة العامة، وقد وصل الى يدنا منها مجلد السنة الاولى من هذه المجلة النفيسة(٩) ولا يعرف قيمة هذه المجلة الا الذي اطلع بنفسه على محتوياتها .

● اغلاط اللغويين الاقدمين :

كتاب تناول فيه الاب الكرملي مائة وأربعة وثلاثين بحثا ، ناقش فيها ما تردت فيه معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة من اوهام ، واصلحها ، (١٠) بدقة العالم المحقق !

● خزانة كتب الاب الكرملي :

على الرغم مما حل بخزانة كتبه من نكبة النهب والاحراق سنة ١٩١٧ ، يوم كان منفيا ، فانه استطاع ان يغني تلك الخزانة بنحو خمسة وعشرين الف مجلد ، ما بين مخطوط ومطبوع، تملأ خمس غرف من الدور الثاني ، في دير الآباء الكرمليين القديم ، وبين ما تشتمل عليه هذه الخزانة ، كتب نادرة ، لا وجود لها في العالم الا عنده.

وقد بذل في سبيل الحصول عليها المال بسخاء ، ويوم لقي ربه ، اهدى رجال الدير

أ ـ ١٣٣٥ الفا وثلاثمئة وخمسة وثلاثين كتابا مخطوطا ،

ب ـ و ٦٠٠٠ وستة آلاف كتاب مطبوع لدار الآثار العراقية

وحفظ ما بقي من كتبه ومخطوطاته في الدير مع (المساعد) الذي تولت مديرية الثقافة العراقية طبعه كما اسلفنا !

● مجلس الاب الكرملي :

كان للاب الكرملي مجلس علمي ، وادبي ، يعقد كل نهار جمعة من الاسبوع ، من الساعة الثامنة صباحا ، الى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، حيث يقرع جرس الغداء فينصرف رواد ذلك المجلس ، وكلهم من رجالات العلم والادب .

وكانت المناقشات في هذا المجلس تتناول بحوث اللغة، والادب ، والتاريخ، وما جد في العالم من المطبوعات القيمة، وكان من عادة الاب الكرملي ان يطلع زواره على ما ضم الى خزانة كتبه من جديد مخطوطا ، او مطبوعا . وكان يمنع البحث في :

١ ـ الدين

٢ ـ والسياسة

وكان من النادر جدا ، ان يحل في بغداد عالم او باحث ، او مستشرق ، ولا يزور مجلس الاب الكرملي .

● أهتمام الاب الكرملي بالناشئين من الكتاب والادباء !

كان الاب الكرملي شديد الاهتمام بالناشئين من الكتاب والادباء بالغ العطف عليهم ، فلم يكن يبخل على مستعين بالنصح والارشاد ، وتقويم نهجه في الكتابة ، وكانت خزانة كتبه مفتوحة لكل طالب فائدة ، على شرط ان لا يخرج كتاب من الدير .

● يوبيل الاب الكرملي الذهبي !

تنادى عارفو فضله الى تكريمه، لمناسبة مرور خمسين سنة على خدمته لـ (اللغة العربية) ، وكان ذلك في ١٦

ايلول سنة ١٩٢٨ ، فالفت لجنة ـ لهذا الغرض ـ انتخبت المرحوم ـ الشاعر الفيلسوف ـ (جميل صدقي الزهاوي) رئيسا لها ـ بالاجماع ـ وقد اقيـــم حفل التكريم في دار رئيس الوزارة العراقيـــة المرحـــوم السيد (عبد المحسن السعدون) ، باشراف وزير المعارف السيد (توفيـــق السويدي) ، اشارة الى منزلـة الاب الرفيعـــة في نفوس القوم ٠

فكان يوبيله مهرجانا القيت فيه الخطب والاشعار والرسائل والبرقيات التي جاءت من محافل العلم والادب في جميع انحاء البلاد العربية ، ومن كبار المستشرقين ٠

● **منزلته العلمية في العالم :**

عرفت المجامع والمحافي العلمية للاب الكرملي قيمته، فانتخب عضوا في :

١ ـ انتخب عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي في (دمشق) من يـــوم تأسيسه سنة ١٩٢٠ الى ان لقـــي الكرملي ربه ٠

٢ ـ انتخب عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية ، في (القاهرة) وعرض عليه الملك (فؤاد) ان يكـــون رئيسا له ، فابى ، قائلا : « ان هذا الشرف يجب ان يكون مقصورا على ابناء (مصر) » ، وقد اختير عضوا لهذا المحفى من يوم انشائه سنة ١٩٣٣

٣ ـ اختير عضوا لمجمع المشرقيات في المانيـة سنة ١٩١١

٤ ـ اختار المجمع العلمي في (جنيف) عضوا له

٥ ـ اختير لتنظيم المعرض الفاتيكاني في (روميـة) سنة ١٩٢٤

٦ ـ اختير عضوا في المحفى العراقي

٧ ـ انتخب عضوا في لجنة التأليف والنشر العراقية٠

● **تقديرات معنوية واوسمة :**

أ ـ اهدت اليه بريطانية وساما رفيعا ولقب M. B. E.

ب ـ اهدت اليه فرنسة وسام Officier D' Academis

ج ـ اهدى اليه المغفور له الملك غازي ساعة ذهبا ٠

د ـ منح وسام السبق العلمي سنة ١٩٢٠

هـ ـ منح وسام الاستحقاق سنة ١٩٢٠

● **اشهر خصوماته الادبية :**

كانت كتابات الاب الكرملي العلمية تثير خصومات ادبية ، فلم تخل حياته من تهديدات بالقتل ، ومن اشهر الذين جادلوه وناقشوه بحدة ، هؤلاء الاعلام :

١ ـ المرحوم عبد الله البستاني ،

٢ ـ المرحوم ظاهر خير الله ،

٣ ـ المرحوم جبر ضومط ،

٤ ـ المرحوم الاب اوغسطين مرمرجي الدومنيكي

٥ ـ المرحوم وحيد الايوبي ،

٦ ـ المرحوم اسعد خليل داغر ،

٧ ـ المرحوم الاب شيخو اليسوعي ٠

ومن توفي ثلاثة من هؤلاء الاعلام ، على اثر انقطاع حججهم ، وهو يناقشهم ، حتى قال احد الظرفاء : « ان كان لكم خصم تريدون موته ، فدعوه يناقش الاب (انستاس ماري الكرملي) على صفحات الجرائد ٠ »

● **رأيه في اصلاح الخط العربي :**

من المعلوم ان لغتنا العربية تختلف عن سائر اللغات، بصعوبة قراءتها قراءة صحيحة ٠ وهذه الصعوبة ، ناشئة عن كون خطنا يكتب بطريقة اختزالية ٠ لذا وضع الاب الكرملي رسالة في اصلاح الخط العربي ، دعاها : (الكتابة العربية المنقحة)

جعل ـ في هذه الرسالة ـ الحركات مدموجة في صلب الكلمة ، بحيث يتمكن القارىء مـن القراءة الصحيحة ، مهما يكن حظه من قواعـد اللغة العربية ضئيلا ! وعـلى الرغم من كون طريقـــة الاب الكرملي ـ او ابتكاره ـ يضحي بجانب من روعة الخط العربي وجماله ، الا انها ـ اي هذه الطريقة ـ تضمن صحة القراءة ، ضمانـــا ، محققا !٠

● **اسلوبه في الكتابة :**

كان الكرملي يحصر النقاط التي يريد أن يتناولها في موضوعه ، ويضع خلاصات لها ، ويعد النصوص التي يريد ان يستشهد بها ، ويعين المراجع التي يرغب في الرجوع اليها اثناء البحث ، يبدأ بكتابة مقاله ، وكانت مقالاته مبتكرة ، فلا يعالج بحثا ممضوغا ، ولم يكن يعرف المسودات ، فهو يكتب مقالاته رأسا ، ويبعث بها الى الصحف والمجلات بلغة سهلة سائغة ، وهذا دليل تمكنه من بحوثه تمكنا يشبه الاعجاز ، لكن على الرغم من ذلك ، فانه كان يجد ، بعد ظهور مقاله ، ان كلمات قد اغفلت ، فيلوم المجلة ، ولا ينجي المجلة من اللوم الا رجوعه الى اصول مقاله !..

● **ابتكارات الاب الكرملي :**

للاب الكرملي ابتكارات في اللغة ، لم يسبقه اليها سابق منها من المعاصرين . ولا من القدامى .

١ ـ نظرية الثنائية في اللغة .

٢ ـ نظرية التناظر والتأصيل .

وهو اول من نادى بضرورة ترتيب المعاجم العربية على الاسلوب الفرنجي ، ليتمكن الذين لا يعرفون الصرف العربي من الانتفاع بالمعاجم ، فاتهمه بعضهم بانه يكيد ، لـ (اللغة) فاختبرهم في مجمع اللغة العربية في (القاهرة) قائلا : « جدوا لي هذه الكلمات في ساعة من الزمن :

أ ـ تترى . ب ـ ساتيرما . ـ ج ـ مقة . (١١)

فأخفقوا جميعا ، وادعى بعضهم ان لا وجود لهذه الكلمات في المعجم !

● **نموذج من خط الاب الكرملي :**

نثبت في هذا البحث نموذجا من خطه ، في رسالة منه الي ، اتماما للبحث :

الكيماوي او الكيمياوي .

مضت ست سنوات ، وانا اجادل اعضاء المجمع وعلى تخطئتي اياهم لقولهم (الكيمائي) وهو الصحيح دون الكيماوي ، وفي جلسة ٢٠ من هذا الشهر بينت لهم أن همزة كيمياء زائدة بادلة لا تدحض ، واذا كانت زائدة ، ينسب اليها بقلبها واوا ، كما قال (سيبويه) و (الفراء) و (ابن مالك) .

فقد قالوا ان النسبة الى (زكريـاء) زكرياوي ولا يجوز زكريائي .

واطلعتهم على النصوص ، فصفقوا لي تصفيقا عجافا ، وانتهت المسألة بعد ان كتبت في المجلة في كل سنة بصورة (كيميائي) او (كيمائي) فبقيت تلك الالفاظ المغلوط فيها عنوانا على جهلهم القبيح . وظهرت الحقيقة الآن بمحاسنها !

● **نهاية الاب الكرملي :**

ولد الاب الكرملي في بغداد ـ شهر آب سنة ١٨٦٦ ، ولقي ربه في مستشفى التمريض الملكي في بغداد في ١/٧/ ١٩٤٧ ، بعد ان لقي من اخوانه الرهبان من العقوق ، ما نمسك القلم عن ذكره ، لأن في بعض ما ذكره لي البحاثة المرحوم (يوسف يعقوب مسكوني) ما يثبت أنهم في واد سحيق ، وتعاليم الانجيل في أقاصي المعمورة !..

فلما سمع به الاستاذ (ارشد العمري) رئيس الوزارة العراقية ، زاره في القبو الذي وضع فيه ، ونقله الى مستشفى التمريض الملكي ، وقرر له مجلس الوزراء راتبا شهريا لمدى الحياة ، فكان بصنيعه هذا ، مبرهنا على ما فطر عليه ابناء العراق العظيم من نبل اصيل ، وتقدير للعلم وللعلماء ! لكن ، الاب الكرملي لم يعش بعد هذه التعزية ، سوى ايام معدودات فسار في جنازته العلماء والادباء ، وعلية القوم ، وقد خلد ذكره في كثير من الكتب والرسائل .

● **بعض ركائز البحث :**

● لغة العرب ، تسع مجموعات .

● المساعد ـ معجم الكرملي .

● نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ـ تأليف الكرملي .

● اغلاط اللغويين الاقدمين ـ تأليف الكرملي .

● سدنة التراث القومي تأليف روكس بن زائد

العزيزي ٠

● المنهل في تاريخ الادب العربي ثلاثة اجزاء تأليف روكس بن زائد العزيزي ٠

● الاب انستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته (١٨٦٦ – ١٩٤٧) تأليف كوركيس عواد ٠

● مجلة المقتطف ٠

● يوبيل الاب انستاس ماري الكرملي الخمسيني ٠ لغة العرب – ٧ (١٩٢٨) صفحة ٤٥ – ٥٦ ٠

● الاب انستاس ماري الكرملي عماد النهضة الحديثة – الشيخ محمد رضا الشبيبي ٠

● مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ٠

● جريدة الزمان بغداد ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٦١٠

● معجم المؤلفين العراقيين – تأليف كوركيس عواد ٠

● رسائل الاب انستاس ماري الكرملي المخطوطة الي ، ما بقي منها بعد ان نهبت داري وخزانة كتبي في القدس سنة ١٩٤٨ ٠

● جلسات مع الاب انستاس ماري الكرملي في ديرالآباء الكرمليين في القدس سنة ١٩٤٦ ٠

● مجلةالعرفان – لصاحبها احمدعارف الزين – ونزار الزين ٠

● مجلة الكرملي – الشهاب (ذنون) ٠

● مجلة العربي ٠

● رسائل يوسف يعقوب مسكوني المخطوطة الي ٠

● جريدة الرأي – الجمعة في ٧ /١/ ١٩٧٣ ٠

● مجلة افكار ٠

● وغيرها ٠

روكس بن زائد العزيزي

---

(١) من المحزن ان رسائله الي – بخط يده – كل تلك المدة ، قد عبثت بها أيد اثيمة ، يوم نهبت داري وخزانة كتبي – في القدس – ايام محنة العرب العظمى سنة ١٩٤٨ .

(٢) الاستيام معناها رئيس ربابنة السفينة ، وقد استعيرت هنا لامانة اللغة ٠ (العزيزي)

(٣) تم طبع الجزء الاول من هذا السفر النفيس بهمة مديرية الثقافة العامة في وزارة الاعلام العراقية ، وقد بلغنا ، ان الجزء الثاني من المساعد قد ظهر في بغداد ٠ (العزيزي)

(٤) وعلى ذكر (تاج العروس) لا بد لي من أن أسجل – للتاريخ – ان احدى وزارات التربية والتعليم – في بلادنا – اشترت بوساطتي خمسين مجموعة من هذا المعجم النفيس المشهور ، فلما وصلت المجموعات الى مكتبي ، ذهبت الى الوزارة لاسلمها النسخ، فواجهني مساعد وكيل الوزارة – وكان اسمه مطبوعا على أكثر من عشرين كتابا مدرسيا – وسألني : « ما اسم مؤلف هذه القصة » (تاج العروس) فلما رأيت ذاك الجهل المكعب ، والغباء المركب ، اجبته : « لست أنا المؤلف يا سيدي ، انما أنا وسيط خير » ٠ أجاب : « على أي حال انا لا أستطيع تحمل المسؤولية ٠ فعندما يحضر الوزير الذي طلب اليك ذلك، يامر بتسليم الكتب»٠ وهكذا خرجت ، وانا أرثي للوزارة التي نكبت بعربي لا يعرف معجم (تاج العروس) – العزيزي –

(٥) خطأ بعضهم تكرار بين مع الاسم الظاهر ، والحقيقة ، انه وارد، في الجزء الاول من (الكتاب) ل (سيبويه) – العزيزي – ٠

(٦) اجتزأنا من هذا البحث الذي يقع في خمس صفحات من المعجم ، قطع كبير ، بهذا القدر ٠ (العزيزي)

(٧) وقد قلنا ان البدو الارادنة يقلبون الميم ياء في آخر الكلمة ، فيقولون (جهنب) بدلا من جهنم ٠ راجع مقدمة قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية للعزيزي – الطبعة الاولى سنة ١٩٧٣/ ١٩٧٤ ٠

(٨) المقتطف ٦٣ (٢٨٣ – ٢٨٥) نشره للرد – اعتراض مصطفى صادق الرافعي المنشور في الصفحات ١٦٩ – ١٧١ من المجلة نفسها ٠

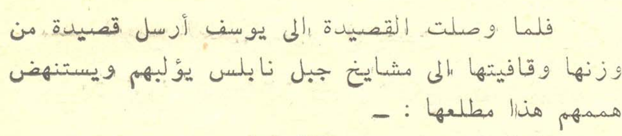
(٩) كانت خزانة كتبنا تحتوي على مجموعة كاملة من هذه المجلة ، لكنها نهبت يوم نهبت داري – في القدس – وخزانة كتبي سنة ١٩٤٨ ٠٠

(١٠)من اوهام الكتاب قولهم صوب ، وهم يريدون صحح ، في حين ان معنى (صوب) قال عن أصاب في كلامه « أصبت » ٠ (العزيزي)

(١١)يبحث عن تترى في (و ت ر) ، وعن ساتيدما في (د م د) وفي مقة (و م ق) ٠

الطبقة العاملة

في الشعر والقصة



عبد الرحيم عمر



عبد الرحيم عمر

أثناء وقوف نابليون على أسوار عكا وستماتة أهلها في الدفاع عنها أرسل قائدهم أحمد باشا الجزار قصيدة الى يوسف آغا لنمر شيخ مشايخ جبال نابلس ، مطلعها : ـ

يقول الماجد اللي فاض ما بـه
بدمع جرى مني على المقـلات
يا غاديا من على صيد حيـه
تجد السرى لا تامن السروات
رباعية لا طامها ميل الصبـي
تسبق هبوب الريح بالفلوات
تهدى هداك الله خذ رسالتـي
مرقومة بالخط والعبـرات

اقطع بها مرج بن عامر وقبـل
تلفى عـلى بلاد بها نخوات

تلفي على جينين معرايق الضحى
تلقي بها علالي وقصور مبنيات

طق لها بالسرع بالسرع لا تامن الدنى
قبل على صانور فيهـا وبات

تلقى بها سبع الفلا ، سيد الملا
بسنين الغلاصيته علينا فات

قل له ، لا تحفظ الزلات يا كاسب الثنا
مضى اللي مضى منا وفـات

اجتنا الفرنساوي تدهك الحصى
سلاطين سبع من سبـع قارات

بريد منك عزمه عامريـة
يوم الوغى ما تهاب من خوفات

تنضو كراديس الفرنج في جموعكم
تحلو عيون الضد مطغيـات

فلما وصلت القصيدة الى يوسف أرسل قصيدة من وزنها وقافيتها الى مشايخ جبل نابلس يؤلبهم ويستنهض هممهم هذا مطلعها : ـ

يقول أبو داود من فؤاد ملوع
أحس في قلبي لهيب اللاهبـات
على مكاتيب أجتنا من بعيـد
من أفندينا لعنين امبرشمـات
فضيتهن انسر منهـا خاطري
قريتهن نزلت دموعي ساكبـات
ملة الفرنـج اجونا صـائلين
مرادهم يدعو الجوامع دامرات
ياجميل الستر اذا حاط البلا
يا مهيمن انت رب الكـائنات

ثم يمضي يستثير العائلات الكبيرة في المنطقة ، كل عائلة باسمها آل النمر ، آل طوقـان ، محمد العمشـان في شوفه ، أحمد القاسم عميد آل القاسم . الجيوسي ، العطعوط في رامين ، أحمد الجابر في المشاريق ، وتستثار الجموع وتتألب ويرتد نابليون عن أسوار عكا ثم تلاقيه الجموع في وادي عزون وتصده .

واذا كنا في هذه المنطقة من الوطن العربي ، لانعطي حملة نابليون هذه الاهمية الثقافية كنقطة بداية للنهضة الحديثة كما يفعل الاخوة في مصر . اذ أن نابليـون والبعثات التي رافقته لم يستقروا هنا كما استقروا هناك وبالتالي فأنهم لم يؤثروا هنا كما أثروا هناك . الا أننا نجد في القصيدتين السابقتين رسالة الاستنجاد ضد الغزاة الفرنسيين والرد عليها ، نجد فيهما الكثير مما يرشدنا الى تصور طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في السنوات الاولى من بواكير القرن التاسع عشر ، فالاقطاع هو السمة الرئيسية للعلاقات الاجتماعية والسياسيـة .

والاقطاعيون لهم من القوة والنفوذ اكثر مما للسلطة العثمانية التي كان يفترض فيها أنها هي المكلفة بالدفاع عن البلاد وحمايتها من الغزو الاجنبي ٠ والدين قبل الوطن مصدر استثارة للناس ضد الخطر ، ومثلما هي الجوامع تجسيد لموقع الدين من المجتمع كذلك فأن أسماء الاقطاعيين التي وردت فيه تجسيد لمواقعهم من المجتمع أيضا ٠ أما اعتماد الشعر في المراسلة فيدل على أن الكلمة كانت لاتزال محتفظة بأثرها رغم عصور التخلف ، والشعر منها في موقع خاص ٠ كما أن أسلوب التغريبة واضح في مطلع كل من القصيدتين وذلك طبيعي في عصر كانت ثقافة الجماهير فيه تعتمد الى درجة كبيرة على موروثاتها الشعبية ٠

ولعل نابليون كان يشير الى هذه الحقيقة حين قال : ليست هنالك أمة كالعرب تهزها الكلمة مكتوبة أو مخطوبة ٠ على أن كل هذه المظاهر لايجوز أن تحجب عن أعيننا بدايات للتطور الاجتماعي والاقتصادي اللذين اقترنا فيما بعد بتطور سياسي ، هام ، وهذه التطورات قد ارتبطت كلها بحملة نابليون التي فشلت كما أشرنا في فلسطين ونجحت لبعض الوقت في مصر ٠ فقد استولى على الحكم في مصر محمد علي باشا وأرسل ابنه ابراهيم باشا ليستولي على سوريا كلها وبالفعل نجحت الحملة واستولت على البلاد السورية كلها ووصلت الى الاناضول حيث تدخلت الدول الاوروبية ففرضت الصلح ووضعت البلاد السورية كلها بما فيها بلادنا تحت ادارة ابراهيم باشا ٠ ولان الاقطاع كان حليفا طبيعيا للدولة العثمانية وعميلا لها ، فقد استبعد ابراهيم باشا الاقطاعيين المعروفين من مجالس الشورى التي أسسها في المدن الكبرى التي استولى عليها وهذه المجالس أشبه بالمجالس البلدية الحديثة وغالبية أعضائها من التجار وهكذا أعطيت الفرصة المواتية لطبقة جديدة كي تنشط وتثبت وجودها الى جانب الاقطاع الذي كانت تنظيمات ابراهيم باشا ضربة لنفوذهم ومراكزهم ٠

أما الحادث الثاني الذي ساعد على ازدهار هذه الطبقة الجديدة طبقة التجار في الشرق العربي كله فقد كان افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ وما صاحبها من ازدهار تجاري في الموانىء السورية كلها وبشكل خاص ميناء بيروت والموانىء الفلسطينية ، الامر الذي كان من شانه بالضرورة أن يؤدي الى لقاء بين الشركات التجارية الاوروبية والممثلين من التجار الذين بدأت تتعاون معهم في بلادنا كما أنه أنعش الحركة التجارية في الاجزاء الداخلية من سوريا والاردن حيث أصبح للتجارة البرية مع الجزيرة العربية والعراق وايران خطوط مواصلات انتفعت بها الطبقة الجديدة في بلادنا ٠

على أن الحدث الاساسي لبداية التفتح الطبقي والضربة القاسية للاقطاع قد تمثلت في مجموعة الاتفاقيات التي عقدتها شركات فرنسية في الغالب وانجليزية أحيانا وألمانية مرة واحدة في انشاء شبكة من الخطوط الحديدية بين يافا والقدس سنة ١٨٨٨ ثم بين الشام والمزيريب سنة ١٨٩٠ ثم بين بيروت ودمشق سنة ١٨٩١ ثم بين دمشق وحلب وبراجيك سنة ١٨٩٣ ٠ وكان من نتائج هذه الاتفاقيات أن خلقت للطبقة الوسطى مجالا للعمل التجاري لم تعرفه من قبل وأنها فرضت تجمعات عمالية بأعداد كبيرة ولمدد طويلة لم تعرفها مجتمعات هذه المنطقة من قبل ٠

اذن قبل أن تغيب شمس القرن التاسع عشر ، كانت الامبراطورية العثمانية تلفظ أنفاسها الاخيرة ، وكان الاستعمار الاوروبي قد بدأ يتسلل الى المنطقة ، وكان الاقطاع قد بدأ يفقد نفوذه بينما برزت الطبقة الوسطى الى حيز الوجود وأخذت التجمعات العمالية تشكل البوادر الاولية لنشوء طبقة عاملة في بلادنا ٠ وفي هذه الفترة أيضا كانت مجتمعات الثورة الصناعية في أوروبا قد تخلصت من كومونة باريس وعادت البورجوازية الكبيرة في كل من ألمانيا وايطاليا قد خاضت صراعا مريرا ضد الرجعية

الاقطاعية التي كانت تمثلها امبراطورية النمسا والمجر وبشكل خاص تحت قيادة مترنيخ وتحققت الوحدة الالمانية

كما تحققت الوحدة الايطالية . وكانت اوروبا مسرحا لتغيرات عنيفة ، ففي الوقت الذي كانت فيه البورجوازية الاوروبية تواجه فيه تناقضا مع الطبقات العاملة في بلادها فأنها كانت تبحث عن حل لهذه التناقضات في الاتجاه الى آسيا وافريقيا وجعل هاتين القارتين مجالا حيويا ومستعمرات تنهب خيرات بلدانها لصالح الرأسمالية الاوروبية التي

خلقتها الثورة الصناعية . ولعله من المفارقات العجيبة ، وان كانت مفارقات لا تعدو كونها ظواهر طبيعية أملتها قوانين التطور المادي وما تفرع عنها من أصداء الثورة الصناعية وما أعقبها من ثورات اجتماعية وسياسية كانت ذروتها كومونة باريس سنة ١٨٧١ أن رافق ذلك الاندفاع الاستعماري من أوروبا نحو الشرق ، ذلك الحنين الرومانسي للرحيل الى الشرق ، بل ان ترجمات ألف ليلة وليلة وبطولات الامير عبدالقادر الجزائري وكتب الرحلات التي كان يكتبها المغامرون الاوروبيون والجواسيس الذين كانوا يزورون بلادنا لمسح خيراتها ودراسة أوضاعها الاجتماعية تمهيدا لاستعمارها، كل هذه الظواهر تلاقت مع الحنين الى الرحيل الذي تولد اثر فشل الكومونة لدى الفنانين والشعراء من ابناء البورجوازية الصغيرة ، فنتج عن اللقاء الاستعماري

الجشع الذي فرضته البورجوازية الكبيرة الاوروبية لقاء ثقافي كان محدودا بحكم اوضاعنا الثقافية ولكنه لا يخلو من النزعة الانسانية والتوق الى الحرية، ولان الطبقات الاوروبية المستعمرة كانت قد تجاوزت الاقطاع ، وفصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، فانه ، حتى الاستعمار الاوروبي كان قادرا على ان يدين الاستعمار العثماني في هذه البلاد ، فاذا اضفنا لكل هذا الواقع الاقتصادي السيء الذي كانت الادارة العثمانية تفرضه على بلادنا وما أعقبه من سخط على تلك الادارة ، واذا اخذنا بعين الاعتبار ان

سنة ١٨٩٧ قد شهدت المؤتمر الصهيوني الذي وضع فيه هيرتسل وزملاؤه من غلاة الصهيونيين الذين وضعوا من ردود الفعل التي احدثتها حركات التعصب القومي

التي سادت اوروبا وموجات اللاسامية التي عانى اليهود من جرائها فوضع المؤتمر برنامجا لاستيلاء اليهود على فلسطين خلال مدة اقصاها خمسون عاما ، اذا اخذنا كل هذه الامور بعين الاعتبار فاننا نستطيع ان نتصور الكثير من ملامح الطموح القومي وموقع الحركة الثقافية فيه ممثلة بالشعر اولا وبالمقالة والخطبة والرسالة والندوة قبل القصة والمسرحية . وهكذا كانت الطبقة الوسطى في فلسطين والاردن لا تزال تحلم بالنفوذ الذي نعمت به خلال

وجود الادارة المصرية ، وكان الاقطاعيون نتيجة التحولات الاقتصادية لمصالح الطبقة الوسطى ونتيجة لبطء التطور الاقتصادي قد صنعت موقعهم الاقتصادي ، وان كانوا في غالب الاحيان لا يعدمون الرواتب التي يرسلها لهم الباب العالي والاتاوات التي يفرضونها على البعثات الاجنبية الكثيرة ، مقابل حمايتهم لهذه البعثات .

وكانت الحركة العمالية قد بدأت تتشكل على اسس حرفية محضة بل انها كانت ترى في اتاحة الفرصة لها بالعمل في ظروف غير تلك الظروف الزراعية التي فرضها عليها

ملاك الارض ، فرصة حقيقية لتحسين اوضاعها . اما المثقفون فقد كانوا هم العنصر الاكثر حماسا للعمل وللاصلاح ثم للثورة ، وكانت الحركات الطلابية النشطه تتأثر بمثيلاتها في اوروبا كما تتأثر بالاحتقار الذي اخذت الحركة الطورانية تعلنه لامتنا ولغتها وحضارتها بل وحتى

وصل الامر للخلفاء الذين كانت ولا تزال لهم صلة وطيدة بمعتقداتها . وهكذا كان لا بد من الصدام مع الخلافة بهدف الاصلاح في بداية الامر كما قال الزهاوي مخاطبا السلطان عبد الحميد :

ماذا على السلطان لو اجرى الذي
تشتاقـــه الاحرار من اصلاح

تالله لو منح الرعيـة حقهـا
لفـــداه كل الشعب بالارواح

وأقصى ما تمناه ولي الدين يكن في بداية الامــر هو الخلاص من الحكام الفاسدين من اجل اصلاح الحكم، وليس الثورة على الدولة واستبدال غيرها بها :

يا وطنا قد جـرى الفساد به
متى يرينا اصلاحـك الزمـن

دفنت حيا ومـا دنـا اجل
ما ضر لو دافنوك قــد دفنوا

وشيئا فشيئا تحولت النغمة المطالبة بالاصلاح الى صرخات تطالب بالثورة ولكنها تصطدم بالواقع الاجتماعي المتخلف والقادر على ان يتحمل من الالم اكثر من ان يهب للثورة عليه • يقول ولي الدين يكن :

تجلى ظلام الجهل عن كل امــة
ولمــا يزل منه علينا غياهب

ويقول في وصف الظلم والتسلط والاثراء غـير المشروع بينما غالبية الناس تحلم بالرغيف :

أفسد الظلم أنفس الناس حتى
لو رأى الناس عـادلا لارتابوا

قد اجيعوا فالبعض يأكل بعضا
غنـم بعضهـم وبعض ذئاب

ويصور الزهاوي حالة الكبت والملاحقه والتضيق على حريات الناس بقوله :

خشيت على نفسي فأزمعت رجعة
الى بلدي من قبل أنـي أصرع

وهل راحة في بلدة نصف أهلهـا
على نصفه الثانـي عيون تطلع

أما الشيخ فؤاد الخطيب فيقول من قصيدة عنوانها شكوى الامة :

اذا وجـدوا امرءا حـرا أتوه
خفافا كالافاعي في انسياب

وغالـوه بتقريـر رهيب
يصير قبـره جـوف العباب

فكم في لجـة البسفور قـوم
هـم خـير العشائر والصحاب

على ان الجهل وقـلة الوعـي لم يكونا السببين الوحيدين اللذين حالا دون ثورة العرب على الاتراك حتى ذلك الوقت ، فقد كان الشعور بالاخـوة الاسلامية يشكل عامل تهدئة كما ان الامل في الاصلاح يعد عامل تهدئـة آخر ناهيك عن الكبت الشديد والارهاب وارسال المستنيرين أفواجا افواجا الى المشانق •

* * *

في هذه الفترة كانت الثقافة الدينية هي السائـدة وكانت مجموعة من علماء الدين هي الممثلة الرسمية للشعر والادب فقد حرص ابو الاقبال اليعثوبي مثلا ان يمـدح السلطان عبد الحميد بديوان كامل من الشعر ، وكمـا يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي فقد كان يعد نفسه ليكون شاعر السلطان كما كان شوقي شاعر الخديوي •

قال مهنئا السلطان بالنجاة من مكيـدة دبرهـا اعداؤه :

نجوت فخابت بالجناة نجـاة
بغين وهـل بالبغي ساد بغاة

أما الشيخ يوسف النبهاني فهو ممثل الاقطاع الديني وله مؤلفات عديدة منهـا : الانوار المحمدية ، والشرف المؤبد لآل محمد ، ورسائل الوصول الى شمائل الرسول ، والاحاديث الاربعين في فضائل سيد المرسلين •

وفي هذه الفترة نشطت الارساليات الاجنبية وبدأت في السنوات الاخيرة مـن القـرن التاسع عشر عملية بناء المدارس التبشرية كما نشطت حركة الهجرة الى العالـم

الجديد ، التي تبلورت عنها فيما بعد حركة الادب المهجري ، التي كان لها التأثير الحاسم على حركة التجديد في الفنون والاداب والحركة الثقافية العربية بوجه عام . وليس أدق لوصف هذه المرحلة التي سبقت الثورة العربية الكبرى من وصف الظروف في روسيا يوم ظهر تولستوي اذ وصفها لينين بقوله : ان الرأسمالية فيها تكبر من القاعدة ولكنها تنفذ في المناطق العليا ، وفي هذه المرحلة كانت الثورة العربية تكبر في القاعدة ولكنها تنفذ في الطبقات العليا ، ومن القمة عبر مثقفي الطبقة الوسطى اعلنت الثورة العربية الكبرى . وكانت مع الحرب العالمية الاولى والنهايات التي اسفرتا عنها نقطة تحول في فلسطين التي وضعت تحت الانتداب البريطاني وفي شرق الاردن حيث نشأت الاماره .

وتتوالى الاحداث ، ويسيل الشعر جراحا دامية ، وينصرف الشعر الى رفض الواقع الممزق الذي اسفرت عنه مؤثرات السلام ويصبح مجلس الامير ملتقى لشعراء الثورة العربية الكبرى الزركلي ، الشريفي ، عرار ، الحوماني .

وحين رفض قائد الثورة مساومات الانجليز ونفي حتى الموت وكان موته ايذانا بتفجير ينابيع الشعر : فرثاه خليل مردم من سوريا وعرار من الاردن وابراهيم طوقان من فلسطين وشوقي من مصر عدا العشرات من الشعراء الاخرين . واصبح الشعر في الاردن مشغولا بالوحدة العربية ، ومحاربة حلفاء الامس وحماة اليوم الى جانب اغراضه الاجتماعية والسياسية الاخرى .

أما في فلسطين فكان الوضع كما قال الشاعر :

في كل قطر أشعب

وهنا بداري أشعبان

فالخطر الصهيوني والانتداب البريطاني قد توليا وضع البلاد في ظروف تساعد على تطبيق وعد بلفور واقامة الوطن القومي اليهودي عليها ، هذان الخطران اضيفا الى بقية الهموم العربية من توجيه الى الوحدة ، ومحاربة للتخلف ، بل ان الظروف الخاصة التي مرت بها فلسطين قد فرضت على الادب الفلسطيني سرعة في النضج سببها ان النضال السياسي قد فرض على المفكرين ان يفكروا في أمر مجتمع سليم قادر على ان يواجه التحديات الخطيرة التي كانت تفرض عليه . كما جعل العديد منهم يتخذ مواقع طبقية ملتزمة في وقت كان مثل هذا الالتزام جديدا على العالم العربي .

لقد كان خليل السكاكيني يقول : لن أقول وأمشي كما يقول الريحاني ، بل سأقول كلمتي وأقف ومن شاء ان يصارعني فليتقدم ، وواضح ان السكاكيني يجعل من الكلمة موقفا وهو مستعد ان يتحمل مسؤوليته وقد تحمل بالفعل . ولكن هل هذا الموقف هو موقف فردي أم هو موقف طبقي ؟ يصف الاستاذ الناعوري أدب السكاكيني بقوله : وكان أدب السكاكيني دائما ادبا واقعيا يستمد مواضيعه من الحياة والمجتمع البشري ويعالج القضايا الانسانية والاخلاقية والعقائدية والاجتماعية ويناضل لتحسين الحياة وأوضاعها للرقي بحياة البشرية ، ولقد عرف السجن وهالته حالة الشقاء التي يعاني منها المسجونون ورأى الحاجة في السجن مثلما هي في حياة الناس عامة ، اصل البلاء واساس الانحراف : يدخل بعضهم السجن وفي جيبه بعض النقود وعليه بعض الثياب ثم لا يلبث ان ينفق دريهماته ويأخذ في بيع ثيابه بالمزاد ويصبح عاري الجسم يتقفقف من البرد ويتضور من الجوع ولا احد يهتم به ، وحينئذ ، فأما أن يستعطي من المساجين الجدد واما ان يتعاطى السرقة ، وهو يضع هذا الحوار :

ـ لماذا حكمتم عليه بالسجن ؟ لانه سرق

لماذا هو سرق ؟ لانه فقير

لماذا هو فقير ؟ لاسباب عديدة لا مجال لذكرها .

وحين سرق بيته كتب في المقتطف مقالا يبرر للصوص

فعلتهم ويقول : لا شك انه لم يدفعكم الى سرقة بيتي الا الحاجة ويا حبذا .. لو وجدتم فيه حاجتكم .

ثم يمضي في مقاله يقارن بين هؤلاء اللصوص واولئك الذين يسرقون مقدرات الامة ويوهمون الناس وهم لا يستحون انهم من ابناء الطبقة الراقية ويعزي اللصوص قائلا : لا فرق بينكم الا انكم لصوص الليل وانهم لصوص كل ساعة . وحين وقع الزلزال سنة ١٩٢٧ لاحظ السكاكيني ان الاغنياء قد فقدوا بعض عماراتهم ، الا ان الخسائر الجسيمة قد حلت بالفقراء فكتب يقول :

وهل النكبات من السماء او من الارض الا من نصيب هذه الطبقة ؟ لم تهدم الا بيوتهم ، ولم يكن القسم الاكبر من الضحايا الا منهم ، واذا فتشنا وجدت انهم تحملوا مصيبتهم هذه كما تحملوا ما سبقها من المصائب صابرين ساكتين ؟.

ومن الطبيعي ان يرفض السكاكيني صمت المحرومين المقهورين وهو الذي اعلن ان كلمته موقف وانه مستعد للصراع الى جانبها .

ومثلما وقف السكاكيني هناك الى جانب الطبقات المحرومة والمقهورة والمغلوبة على أمرها وقف عرار هنا موقفا مماثلا ضد المرابين ومستغلي الشعب والمتاجرين بقوته .

فلا عليك اذا أقريتني لبنا
وقلت خبزتنا من أرض حوران
أما السكاكر فلينعم بمأكلها
«صبري» و«منكو» وتوفيق بن قطان
فحسبنا نعمة الذل التي نخرت عظامنا ....

أما قصيدته الى الصعاليك : فهي اكثر وضوحا من حيث وقوفه الى جانب الطبقات الكادحة وهي تعبر عن موقف اجتماعي حاسم ضد مستغلي هذه الطبقات

ان الصعاليك اخواني وان لهم
حقا به لو شعرتم لم تلوموني
فالعزل والنفي حبا بالقيام به
أسمى بعيني من نصبي وتعييني
ان الصعاليك مثلي مفلسون وهم
لمثل هذا الزمان الزفت خبوني

★ ★ ★

ولان العمل السياسي في فلسطين كان لا بد وان يقترن بالصراع الدامي ضد الهجرة والاستيطان وحركة التهويد ، ولان هذا الصراع الدامي كان لا بد وان يكون عماده جماهير الشعب الكادحة فقد عرف الشعر الفلسطيني ومثله القصة الفلسطينية توجها واسعا نحو الجماهير التي استجابت للنداء وقدمت التضحيات بغزارة ابرزها الادب الشعبي بشكل واسع وكذلك الادب المكتوب ولعل قصيدة « عوض » التي كتبها على جدران سجن القدس المركزي ليلة اعدامه مثل جيد للمشاركة في العمل الوطني وما تخلله من صراع دام :

ياليل خلي الاسير تايكمل نواحو
رايح يفيق الفجر ويرفرف جناحو
تا يمرجح المشنوق في هبة رياحو
ياليل وقف تأفضي بكل حسراتي
يمكن نسيت مين أنا ونسيت آهاتي
يا حيف كيف انقضت بيديك ساعاتي
اثنين قبلي شباب عالمشنقه راحوا
بكرا امراتي كيف راح تقضي نهارها
ويلها علي ويلها على صغارها
يا ريتني خليت في ايدها سوارا
يوم دعاني الحرب تا نشتري سلاحو .

على ان التطور الهام الذي شهدته الحركة الادبية في فلسطين كان في ربط الفكرة الاجتماعية بالفكرة السياسية وفي تغير النظرة الى الفقر كظاهرة اجتماعية مجردة يجهد الاد بان يثير عليها الشفقة ويطالب بصلاحها الى كونه

ظاهرة طبقية لن تحل فرديا ولا بد لحلها طبيقيا من نضال قاس ومرير يمتزج فيه الدم المراق في التصدي للاستعمار والصهيونية مع الدم المراق في سبيل التحرر الاجتماعي لصالح طبقات الشعب الكادحة يقول هارون هاشم رشيد في احدى قصائده المبكرة :

ان كنت في أقصى البلاد مشردا

او كنت في ثقل الحديد مقيدا

فاصدع بحقك اسمع الكون الندا

وأنا أخوك وأنت أنت رفيقي

تبكي ولكن ليس من يصغي اليك

تشكو ودمع الفقر يدمي مقلتيك

وأنا لوحدي ان قضيت ابكي عليك

فأنا أخوك وأنت أنت رفيقي

يا ساهدا في القيد ترعاه النجوم

يا ثائرا للحق من جور الظلوم

يا جائعا لا الخبز نلت ولا اللحوم

لا تبك يا صاح ولا تشك الهموم

فأنا أخوك وأنت أنت رفيقي ٠

على ان عبد الرحيم محمود الذي جعل من شعره مثالا للشعر البطولي الذي ترتبط فيه قضية النضال الوطني بقضية العمال والطبقة العاملة :

وقد جعل من حياته مثالا تطبيقيا لهذه الحياة الشعرية حين قال : ٠

سأحمل روحي على راحتي
والقي بها في مهاوي الردى

فقدم حياته شهيدا في معركة الشجرة، وكان بذلك ثاني شاعر فلسطيني يقدم حياته شهيدا بعد مطلق عبد الخالق الذي استشهد في مؤامرة دبرتها له سلطات الانتداب خلال ثورة ٣٦ ـ ٣٩ ، وقبل ان يكون غسان كنفاني هو الثالث وكمال ناصر هو الشهيد الرابع٠ وكان هذه القافلة من الادباء الشهداء كانت تحقق حلما مبكرا للشاعر اسكندر الخوري البيتجالي حين قال :

يا فلسطين اذكري دور المحن

واشكريه واشكري صرف الزمن

أنهضانا من دياجير الوسن

علمانا الموت في حب الوطن

★ ★ ★

لقد انتهج الانتداب البريطاني في فلسطين العربية سياسة كان واضحا انها تعمل على تهيئة المناخ الملائم من اجل تحقيق وعد بلفور وبناء الوطن القومي اليهودي فيها ، ولذلك ضيق على العرب وسلبوا من كل وسيلة تمكنهم من تنظيم انفسهم واعداد المجتمع العربي الفلسطيني وفي الوقت الذي كانت فيه الوكالة اليهودية حكومة حقيقية داخل حكومة الانتداب ، تشرف على تهجير اليهود الى فلسطين العربية ، وتشرف على اسكانهم وتنظيماتهم الداخلية ، وتشرف على التعليم ، فان المندوب السامي البريطاني كانت له صلاحيات واسعة على كل شؤون المجتمع العربي ٠ وحين انشئت الهيئة العربية العليا كان يعتبرها هيئة مناوئة ولم يسمح لرئيسها بدخول البلاد ٠

اما في المجال الثقافي فقد كان الانتداب حريصا على ابعاد الشعب الفلسطيني عن الاتجاه الوطني للثقافة فكان محظورا مثلا أن يعلم الطلاب شيئا عن الصهيونية ومخططها للاستيلاء على بلادهم وكانت دراسة الحركات التقدمية في التاريخ امرا محظورا بل انني انهيت دراستي الثانوية في فلسطين ايام الانتداب دون أن اتعلم شيئا عن ثورة اكتوبر ، او تاريخ الحركات الاشتراكية او الثورة العربية الكبرى ، او تفاصيل قدوم الانجليز الى بلادنا فلسطين ومقابل هذا وحتى لا يكون لدى الطلاب وقت لاهتمامات ثقافية اخرى فقد كانت مناهج التاريخ القديم والجغرافيا الفلكية والاقتصادية وتاريخ الدستور البريطاني وجغرافية

الجزر البريطانية وأدب كيلينغ شاعر الاستعمار والمجموعات الادبية المختارة من الادب الانجليزي الكلاسيكي . ولقد كنت في دراستي الثانوية قد بدأ اهتمامي بالشعر ولكني كنت اتساءل ترى أليس في بلادهم شعراء معاصرون ؟ واذا وجدوا فماذا تراهم يكتبون وهل يؤيدون استعمارنا مثل كيلينغ ؟ .

على ان وضع الطبقة العاملة الفلسطينية كان تحت ادارة الانتداب عرضة لمفارقات كثيرة . فقد كانت سلطات الانتداب معنية بل وملتزمة ، كما قلنا ، بخلق المناخ الملائم لنمو فكرة الوطن القومي وبلورتها عملا على ارض الواقع ، ومن أجل هذا فقد كانت تضع الفلاح الفلسطيني في ظروف تسويقية سيئة ، تجبره على هجر ارضه والعمل في معسكرات الجيش البريطاني ، او في أي مصلحة حكومية او تجارية أخرى ، وهكذا كانت تخلق الفرصة المواتية للكيرن كايت والكيرن هسيود وغيرهما من المؤسسات الصهيونية لشراء الاراضي العربية . ورغم الثورات الفلسطينية المتوالية ، فقد رفضت حكومة الانتداب أن تسن تشريعا يمنع انتقال الاراضي العربية لليهود ، وعلى أي حال فقد أدت سياسة الحكومة المنتدبة بغية تيسير بيع الاراضي العربية لليهود ، وتخفيف ارتباط الفلاح الفلسطيني بارضه ، أدت هذه السياسة الى بلورة طبقة عاملة عربية ، في فلسطين ما لبثت ان اصبح لها تنظيمات في طول البلاد وعرضها ، تمثلها حرفيا جمعية العمال العربية الفلسطينية وتمثلها ايديولوجيا عصبة التحرر الوطني وتسيطر على أجنحة واسعة من حركات الطلاب ومنظمات الشباب .

وفي الوقت نفسه فان الحركة الصهيونية في فلسطين كانت تعتمد في تمويلها على الرأسمالية الصهيونية من خارج فلسطين فكانت بطبيعة تكوينها معادية للطبقة العاملة ومن حيث اهدافها معادية للطبقة العاملة العربية ولذلك فقد حرصت منذ البداية ان تنظم للعمال تنظيم الهستدروت الصهيوني هذا التنظيم اليميني الذي جعل العمال المهاجرين ادوات في أيدي القيادات الصهيونية للصراع ضد العرب ، وجعل من عمال شعب الله المختار أقنان القرن العشرين تحت شعار تعاونيات الكيبوتس والموشاف وغيرهما من التعاونيات التي تملك أرضها ومساكنها ومدارسها ومستشفياتها شركات احتكارية يفرض على هؤلاء أن يتعاملوا معها . ومع ان شعراء عصبة التحرر الوطني والغد والاتحاد وخاصة ابو سلمى قد عبروا عن طموحات الطبقة العاملة الفلسطينية بجرأة وبسالة ، الا أن القصة القصيرة على حداثتها قد كانت الفن الاكثر اتساعا للتعبير عن واقع الطبقة العاملة الفلسطينية . ولعل صلة الرواد الاوائل للقصة في فلسطين وشرق الاردن بالادب الروسي كان لها أثر في هذا الاتجاه . وينطبق هذا على خليل بيدس مثل انطباقه على نجاتي صدقي . ولكنه بالطبع لا ينطبق على محمد روحي الخالدي وثقافته الافرنسية او على البحري او احمد شاكر الكرمي .

والحقيقة ان نشوء القصة في فلسطين والاردن يصلح أن يكون نموذجا لنشوء الحركة الادبية كلها بما أثر عليها من ثقافات خارجية كانت تهب من الاقطار العربية المجاورة او تيارات تهب من الثقافات الغربية من خلال المدارس التبشيرية والبعثات الاجنبية او مع الطلاب الذين يسافرون من بلادنا لطلب العلم في الخارج . كما ان الصراع ضد الصهيونية وما تفرع عنه من قضايا كان يشكل الموضوعات السياسية الاساسية الى جانب الموضوعات الاجتماعية التي تفرض اولوياتها حسب تطور الحركة الاجتماعية . ولعل قصص محمود سيف الدين الايراني الذي تنقل بين الضفتين وقصص عيسى الناعوري التي أخذت موضوعاتها من هنا وهناك تشهد بان حداثة العهد بالقصة القصيرة في فلسطين والاردن قد حررتاها من التقليدية التي لا بد وان تأتي

على حساب تميز الشخصية القصصية لهذا الجزء من العالم العربي .

ولقد ازدهرت القصة بانواعها وقبل النكبة الفلسطينية كان لنا كتاب معروفون كثيرون اختلفت قيمتهم واختلفت المدارس الادبية التي ينتمون اليها . ولكن البناء الواقعي الوطيد الصلة بالطبقة العاملة ومشكلاتها قد وجد طريقه على يد خليل بيدس وتعمق اكثر فأكثر على أيدي نجاتي صدقي والايراني في هذه المرحلة ، ثم على يد أمين ملحس ومحمد ابو سليمان بعد ذلك وفي المرحلة التي تلت النكبة .

ففي قصة رغيف الخبز من مجموعة اول الشوط للاستاذ محمود سيف الدين الايراني ، نسمع بكل قصته يصيح قائلا : هؤلاء الفلاحون الخانعون على قوتهم ، الراضخون للعنت والاذى ، هؤلاء الاشقياء ، أي شيء هذا الذي يقعد بهم عن التمرد ؟ أي شيء ؟ هذا الذي يجعلهم يقنعون بالرغيف الاسود وما هو دون الرغيف الاسود ؟

ثم تشتد ثورته فيقول : يخيل لي اني غريب عن كل ما يحيط بي ، كل هؤلاء الناس الذين أعرف ، والذين اتصلت بهم بأسباب مختلفة متباينة ، أشعر وانا بينهم بقلق وفتور ، وبرغبة ملحة في الانطلاق من بينهم ، لشد ما هم بعيدون عن نفسي ، واني لاتخيلهم راسخين في أغلال وقيود صلبة يقدسونها ويعيدونها . على أني أتخيلهم هكذا سائرين جميعا في تيه ضرير لا نهاية له يسوقهم قزم مشوه ما يفتأ يلسع أجسامهم بسوطه ثم يختفي في أحشاء الظلام مقهقها ، أية سخرية هذه ؟

وكأنما الايراني شاهد الزمن على نشوء منظمة عمالية ثورية لم يحدد اسمها ولكنه في نهاية القصة يصف نشوءها على لسان بطله قائلا : فقد اندفعت في سبيلي متمردا مجنونا واني اليوم لاشد اغتباطا مني في أي يوم مضى ، لقد وجدت مجنونا قبلي ، وثانيا وثالثا ، ونحن نتفاهم بسهولة ، وميولنا تلتقي وافكارنا تتحد ، وأمزجتنا تتواءم ، لا شك في ان هناك موحيات خفية قديمة تسيطر على حياتها وتوجهها .

ومثل الايراني عارف الغروني في صانع التوابيت التي ينهيها بقوله : دعوا الاموات يدفنون امواتهم أما أنا فسأفسح المجال للاجيال ..

وكانت النكبة نقطة تحول ضخمة في تاريخ امتنا كلها وهذه المنطقة بشكل خاص . وكان للوحدة بين الضفتين أثرها على الحركة الثقافية وفي الوقت الذي أثرت الخلخلة التي صاحبت عملية النزف على جميع النشاطات الثقافية الفلسطينية رأيناها تنقل الموضوع الفلسطيني ليصبح موضوع الادب العربي في كل أقطار العروبة شعرا وقصة ومسرحا ودراسات لاحقة لها . وفي الاردن كان هذا الانتقال واسعا ، فقصائد حسني زيد وحسني فريز وعرار الفلسطينية لا حصر لها وظهرت رواية عبد الحليم عباس فتاة من فلسطين ، وحين هدأت العاصفة كان تطور جديد قد طرأ على الشعر والقصة الواقعيين انضجهما ونقلهما الى درجة جديدة من الاستشراف الانساني فاذا بعصام حماد ينتشي في انتصار ديان بيان فو ويخاطب ولده قائلا :

شد ما أملت لو طالت حياتي يا بني
او لو اني جئت للدنيا معك
لارى المستقبل الضخم المجيد
يبتنيه ساعدي مع ساعدك
كتفي مع كتفك
مهجة من مهجه
خلجة تتبع خلجه
ماؤه من دمنا
طينه من عرق الكد الطهور .

أما حنا ابو حنا فيغني لانتصارات كوبا : في هافانا،

حيث عطر الياسمين ، ورياح الغاصبين ، وعلى الشرفة وضاء العيون ، فارس اليقظة يسقي الياسمين : في هافانا حيث قلب راسخ في العاصفة ٠ يتحدى العربات الزاحفة ٠

ومن مآسي الخيام تتضح الصورة بابعادها المترامية وتتضح المؤامرة فيصرخ خليل زقطان ويرفع صوت الجياع وتتعالى اصوات الشعراء المجددون بعد عصام في أعاصير الاردن الذي جمع ثلاثة من الشعراء الشبان الذين وهبوا قصائد المجموعة للطبقة العاملة وقضايا الشعب الرئيسية ٠ واذا بانتصارات الثوار في الجزائر والهند الصينية ولهيب الثورة في كل مكان يصبح عزا وبارقا جديدا للامل بين شعرائنا ٠

في الجزائر

في ربى الاوراس في أرض المجازر

صوت ماو ماو العنيد

يتعالى في ذرى الافق البعيد

وأيوكا الثائره

كل صوت أرسلته في وجوه الغاصبين

كل شبر حررته من نيوب السالبين

هو صوتي وهو صوتك

هو حقي وهو حقك

نحن لسنا وحدنا في المعركة

طعن الاستعمار في أي مكان

فيه ثأر الوطن الباكي الحزين ٠

وبعد ثماني تنوات من وحدة الضفتين وفي مطلع عام ١٩٥٧ كتب محمد سعيد الجنيدي يقول : العام الذي مضى لم ينته ، لان المشكلات التي نحاربها ، مشكلاتنا مع المستعمرين لم تنته ، وهي ممتدة في هذا العام الجديد ٠ ومشكلاتنا الداخلية : البناء الاقتصادي المتين لم يخطط بعد ولا تزال البطالة في كل مكان ، والافواه التي تنتظر الخبز لم تشبع والذين تعصرهم الحاجة لحل مشاكلهم ٠٠ كل هذه المشكلات لم تزل تمتد فوق كل شبر من أرضنا ٠٠

وهذه المشكلات كانت المادة الرئيسية لمجموعة من الشعراء في ظلال الحكومة الوطنية التي عرفناها ذلك العام ٠ وظلت كذلك موضوعا متجددا للشعر والقصة نالت الطبقة العاملة منه النصيب العادي الذي يكون لها حين يكون الوطن موضوعا وقضاياه الرئيسية محور العمل الادبي ٠

يقول امين ملحس في قصته « طريد » : خرج خليل من الخيمة المهلهلة التي تؤوي أمه واباه واولادهما هائما على وجهه يضرب في شوارع العاصمة الضخمة العاتية ، وصراخ ابيه لا يزال يتردد في سمعه وخلده سرددا يعيد الى ذاكرته صوت مطرقة الحداد صاعدة هابطة على السنديان بلا هوادة : أنا لم أعد أطيق أ نأراك وأرى أولادك ٠ أغربوا عن وجهي فارقوني لم يعد في مقدوري أن أطعمكم وأكسوكم ٠٠

هذه القصة تصور لا خروج خليل وحده من بيت أبيه ، ولكنها تصور خروج طبقة من شعبنا طردت من بيتها الضيق أصلا وحرمت من كل ما كان تحقق لها لتقع في تناقضها المعروف مع الصهيونية والرأسمالية التي تترصد اقترابها من بيتها القديم مثلما كان التاجر يترصد خليل ان هو اقترب من بيته او متجره ليرميه في السجن ٠

أتوقف على أبواب نكبة ١٩٦٧ فأثرها والسمات الخاصة لادبنا التي كانت نتاجا حتميا لظروفها الجديدة تحتاج الى دراسة اخرى لا يتسع لها المجال ٠

عمان عبد الرحيم عمر

التراب

بقلم

محمود شقير

كان عمود الضوء يتماوج عبر السماء ، وخلف المنعطف يتعالى هدير مزعج ، أجال نظرا متحفزا ، وقالت زوجته وهي تبلع ريقها :

— دوريو ، لقد جاءوا . وقال :

— انصتي يا امرأة ، لا تكثري الكلام .

اطلت سيارة جيب ، وتبعتها مصفحة كانت تدب في عربدة فوق الطريق الترابية ، وكان ضوء الكشاف يشحن الجو رهبة ، وينصب فوق البيوت في حركات عاهرة كأنها الاغتصاب .

قال بصوت خافت كالفحيح : « باطل .. وين راحت الرجال » وانطلق مسافة قصيرة عبر الحقل وأخذ يحفر في التراب ، قالت :

— يا ابن الحلال . سوف تجر علينا بلية . قال :

— الزمي البيت يا امرأة .. لا أريد نصيحتك .

كان التراب ينزاح وديعا واوامر الحاكم العسكري ترن في أذنيه على نحو كريه : « من يعصي الاوامر سوف يتعرض لعقوبة قاسية » . توقف قليلا وكان يلهث بينما الدورية ما تزال تهدر في قلب الوادي . وعاد الى الحفر :

« لكن الرجال الذين عاصروا ثورة ٣٦ أو شاركوا فيها رددوا على نحو مقصود : (الارض لا تخبر عما في بطنها) » .

ارتفعت كومة من التراب ، وكلما اوغل في الحفر كان التراب يزداد نعومة وتنز منه رطوبة لذيذة ، وتذكر بطن امرأة ، ثم اختلطت في ذهنه أشياء كثيرة : « الله يخونهم ، فرطوا فيه وانهزموا » .

توقفت الدورية عند مدخل الوادي ، وأطفأت أنوارها دفعة واحدة ، وخيم صمت مشحون . كف الرجل عن الحفر وجلس يراقب بحذر ، كانت المصفحة مثل حشرة ضخمة مقيتة ، وبيوت القرية تتلاصق وتنكمش على نفسها ، ومن خلال الاغصان تتعالى همسات غامضة . تلفت صوب البيت: كانت زوجته مصلوبة عند الباب وقد أطفأت النور ، فكر ان يناديها همسا لكنه أقلع عن المحاولة واستمر يحدق .

توقدت مصابيح الدورية ، واندلع نور الكشاف يتراقص في وقاحة ، ويعابث البيوت المتطامنة ، أحس الرجل شيئا يستيقظ في داخله ، كانت فكرة خبيثة تنهش صدره ، حاول خنقها مطلقا يديه في التراب ، لكن الدورية اخذت تزمجر ثم ولت راجعة ، وظل نور الكشاف يتماثل في كل اتجاه الى ان توارى نهائيا . انتصب الرجل وكان منزعجا ، ارسل نظرة متلصصة صوب زوجته ، ورآها تسير في خطوات بطيئة .. قبل أيام كان يحمل البندقية ويتخطر امام البيت وقالت « يا ساتر يارب ، ابعدها عن وجهي ، وقت الجد ما رأينا مراجلك .. ما الفائدة الان!» استغرب وقاحتها ولطمها على وجهها . وبعد ذلك اضطر ان يخفي البندقية حينما اخذوا يذيعون البلاغات المتوالية .

انتبه اليها وهي تتجاوزه الى زاوية الحقل ، شمرت ثوبها دون تحفظ واخذت تبول في العراء . كان القمر قرصا شاحبا ، وراقت له عملية التبول تحت ضوء القمر ، ولكنه تضايق حينما تذكر كلماتها الحارة وهو يحمل البندقية وهمهم « ملعونة الوالدين . لا تخجل ، مالها » .

نهضت المرأة ، وتقدمت وهي تعدل ثوبها في حركات متكاسلة ، كان يجلس قرب كومة التراب ، وقعدت بجواره وقد انزاح الثوب عن فخذها . وسألت بلهجة لا توحي بأي استفزاز :

— أراك توقفت .. لماذا ؟

قال بهدوء فيه تصنع :

ـ انصرفوا ، قلت يمكن أن يفعلوا شيئا ٠

أضاف بعد لحظة صمت وهو يرنو عبر الوادي :

ـ مسكينة بلادنا ما أكثر مصائبها ؟

قالت دون انفعال :

ـ هذه الدورية تجيء لاول مرة ، والله صوتها مخيف ٠

ملأ يديه بحفنة من التراب وقال :

ـ واخياه ٠٠ أخذوه ، انظري : أغلى من الذهب ٠

ملأت قبضة يدها ، وضغطت على التراب ، ثم أرخت اصابعها ، واخذ التراب يسيل من بين الفجوات ويتساقط فوق فخذها هادئا وديعا رطبا ٠ أحست بحنان عارم يتفجر في جسدها ودت لو تتعرى وتتمرغ على التراب ، شمرت ثوبها وراحت تملأ قبضتها بالتراب وتهيله فوق نهاية فخذيها المتلاصقين ، استيقظ عليها وهي مستغرقة في هذه العملية ٠

ـ ما هذا يا امرأة ؟

قالت :

ـ يوم كنت طفلة ، كنت أحب اللعب في التراب ٠

سأل بفضول :

ـ واليوم هل تحبينه يا امرأة ؟٠٠

قالت :

ـ انظر ، لونه غامق ، لماذا خلقه الله بهذا اللون ؟

قال وهو يتابعها بامعان :

ـ يقولون انه مجبول بدم الثوار ٠

ولم يعرف كيف تدافعت على لسانه هذه الكلمات ، حاول أن يفكر في معناها ، ولكنه انشد فجأة الى فخذيها ، هاجه منظرهما في ضوء القمر والتراب يتوزع فوقهما في تجمعات صغيرة متناثرة ٠

توحش ، وثار في اعماقه حنين حراث الى الارض ، لامس فخذيها بكفين خشنتين ، وانبطحت على ظهرها تطلق تنهيدة ساخنة ، شد ثوبها وأزاحه بحركة ضارية الى صدرها ، وراح يخلصه من صدرها وذراعيها ، تشبث الثوب قليلا وتجرجر جسدها فوق التراب ، قالت :

ـ هنا مكان مكشوف ، نروح الى داخل البيت ٠

قال :

ـ لا ٠٠ هنا فوق التراب ٠

كان يقتلع عن جسدها قطعة ثياب وراء اخرى ، وأصبحت عارية تماما ، وبدأ يدرك سبب وقاحتها حينما كان يتخطر بالبندقية أمام البيت ، كانت الحرب قد انتهت والهزيمة أصبحت مؤكدة ٠

كانت كومة التراب تبدو ساكنة كقطعة أليفة ، ملأ قبضتيه وأهال فوق جسدها شلالا من تراب ناعم ٠ تأوهت وامتلأ جسدها شوقا ، قال وهو يلهث :

ـ أنا حراث ، لو كانوا مثلي لما فرطوا فيه ٠

كان معنيا بسماع تعليقها ، ففي ذلك اليوم حينما كان يتخطر بالبندقية كانت نظراتها توحي بالاحتقار ، قالت :

ـ خفف ضغطك ، التراب يلسع ظهري ٠

تراجع قليلا ، وأفرد كومة التراب بكفيه وقال :

ـ نامي هنا ، أنت لا تعرفين كم أحبه ٠

تمددت وقالت في دلال :

ـ هذه اول مرة منذ الحرب ٠ قال :

ـ أعرف : كان بالنا مشغولا ٠

قالت :

ـ على التراب صحيح ؟

أجاب في ارتياح تام :

ـ صحيح ، فهو كل شيء بالنسبة لنا ٠

كان يداعب بيديه كل اجزاء جسدها ، وكانت تشعر بهياج كاسح حينما قرقعت في الجو صلية رشاش أعقبتها انفجارات مدوية ٠

انتفض الرجل ٠ كانت لعلعة الرصاص تنتهك السكون ، وراح يحفر في التراب بحمية ٠ أخرج كيسا من الخيش بداخله بندقية ، قبض عليها واطلق زغرودة وهو ينقض عبر الوادي ٠

كانت المرأة تبكي وهي تغرز يديها في التراب المتناثر في وداعة وصمت ٠

عمان : محمود شقير

فدوى طوقان وبالبحث عن الذات

ابراهيم خليل

مما يميز الشاعر الحديث عن الشاعر التقليدي أنه يقدم للقارىء رؤية شاملة للحياة والعالم ، وبعبارة أدق، فانه يعطينا تقويمه الخاص للوجود . وهذا التقويم لايظهر عنده بطريقة عفوية مرتجلة مركزة كتلك التي تميز بها الشاعر القديم حين كان يرتجل بين الحين والحين أبياتا من الحكمة أو الفلسفة . وانما تظهر هذه الناحية عنده على شكل قضية متنامية خلال قصائد ، وربما دواوين ، بشكل يؤكد أنها بلباله ، ومسألته الخاصة ، التي لا يكل عن التفكير فيها ، والحياة من خلالها . والابداع من أجلها . وهذا الواقع هو الذي منح الشعر الحديث طعمه وزخمه الخاص . ولو قرأنا شاعرا عربيا كبيرا كالسياب مثلا لوجدنا هذه الناحية ماثلة في شعره عبر سلسلة من التحولات والتطورات الفكرية والادبية . ونجد الظاهرة نفسها شاخصة شخوصا ملحوظا في دواوين خليل حاوي ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد الوهاب البياتي ، وغيرهم.. وفدوى طوقان كشاعرة عربية كبيرة لم تتأخر خطوة واحدة عن أقرانها في البلدان العربية . فقد أرست منذ ديوانها الاول « وحدي مع الايام » وحتى ديوانها الاخير « الليل والفرسان » أساس تجربة فنية كاملة . قائمة على رؤية شعرية واحدة . تنتظم قصائدها بشكل واضح ، يظهر لنا مدى اهتمامها بقضيتها الخاصة التي نذرت لها نفسها حياة وفنا . ومنذ ديوانها الاول وهي تعطي هذه الاشارات الضوئية التي تكشف لنا عن خصوصية مسألتها ، ولذلك فهي تختلف عن السياب وعن صلاح وسواهما ..!

فبينما نجد السياب يبحث في قضية عامة اجتماعية واقعية على المستوى الشعبي العربي ، وبينما نجد صلاح يتناول قضية عامة على مستوى الواقع الحضاري المعاصر ، وبينما نجد خليل حاوي يعالج المشكلة ذاتها ، وبينما نجد عبد الوهاب البياتي ومن يترسمون خطاه يتخذون من قضايا الشعوب الفقيرة المحرومة ، والمسائل الوطنية الملحة، قضايا خاصة لهم ، بينما كل هذا يجري على مستوى الشعر العربي في الخارج ، نجد شاعرتنا تتناول قضية خاصة بها (جدا) وأعني بها قضية البحث عن الذات . ولا ندري في الواقع ما هي العوامل الخارجية التي دفعت بالشاعرة الى سلوك هذا المسلك . وان كنت أرجح أن وفاة أخيها ابراهيم كان حدثا ذا تأثير بعيد في نفسها على المستوى الفكري والفني .. فهي الى جانب تأثرها بموته - الذي يشبه تأثر كل انثى تفقد سندها - فقد تأثرت به على صعيد آخر ، يمكن تأويله بأنه ناحية فلسفية . فقد أخذتها الرعدة من هول هذا الحدث الجلل . ومضت بها الى تخوم بعيدة من التأمل والتفكير بحقيقة الانسان ، والحياة ، والزمن ، والموت . وأحست عندئذ - وهذا من قبيل الاستنتاج والتأويل لا الجزم والتأكيد - بأن وجود الانسان عبث لا طائل تحته ، ما دام لا يملك القدرة على التمرد حيال سرعة الزمن الخيالية وما دام لا يقدر على التحكيم بمصيره فيطيل عمره اذا شاء ، وينهيه متى أراد . وهذا الفهم الذي ساور الشاعرة في شبابها الغض ترك مخلفات سيكولوجية في أعماقها انعكست على تجربتها الفنية انعكاسا ملحوظا . وظهر ديوانها الاول وحدي من الايام كأنه مرآة متعددة السطوح ، تبدو في كل سطح صورة من صور القلق والفزع . والشعور بالمرارة والضياع.. والاحزان والبحث عن مفر لهذه الروح المتوثبة في الطبيعة . على أن صورة الطبيعة - الفارغة من كل شيء - تعكس لنا خيبة الشاعرة، فهي وان استسلمت لها أحيانا ، واستنامت في ظلالها

الوارفة ، ومروجها الرحبة الواسعة ، فانها لا تجد فيها شفاء الروح من أوصابها . ولذلك ، لا نستطيع أن نزعم

أن شعرها عن الطبيعة توضيحا لخروجها من مشكلة الاحساس بالقلق والفراغ والرغب من الحياة .. ان

الاحساس بسرعة الزمن والموت ، هو الذي يبرز لناكعنصر من عناصر الرؤية الشعرية عندها ويبين لنا خيبتها ،

ومرارتها ، التي جنتها من رحلة البحث عن الذات . ففي قصيدة « خريف مساء » تخاطب الموت متسائلة عن قسوته ،

ولطافته . عن بشاشته وجهامته ، وتتساءل في شيء من الفزع والحيرة عن الجهة التي سينقض عليها منها ، وعن

كنه الكأس التي سيذيقها اياها .. وتمضي بها الصورة الى تخيل جسدها المقبور ، وقد أصبح فريسة سائغة للدود

الذي أخذ يموج فوق عظامها أسرابا ، ينخر جثمانها في كل مكان ، حتى ينحل ويفنى في التراب :

آه . ياموت ؟ ترى ما أنت ؟

قاس أم حنون
أبشوش أنت أم جهم

وفي أم خؤون
يا ترى من أي آفاق ستنقض عليه

يا ترى ما كنه كأس سوف
تزجيها اليه ؟

قل : أبن ، ما لونها ، ما طعمها
كيف تكون ؟ .

وفي قصيدة الشاعرة والفراشة تتحسر على نفسها وكأنها أصبحت من الاموات حقيقة وفعلا :

ماذا ؟ تموتين » فواحسرتاه
على عروس الروض بنت الربيع
أهكذا في فوران الصبا
يطويك اعصار الفناء المريع .

وفي قصيدة أوهام الزيتون : يبرز احساس الشاعرة بالرعب من الموت حين تستنكر في شيء من الذهول ما سيحدث لها من احتواء القبر لجسمها ، وزوال خفقات الهوى ، وخلجات الشعور :

ويحي أتطويني الليالي غدا
وتحتويني داجيات القبور

فأين تمضي خفقات الهوى
وأين تمضي خلجات الشعور ؟ .

ولما كان الاحساس بالزمن وسرعته ، واصطحابه ليد المنون ، هو الاحساس المسيطر على الشاعرة فقد صورت حياتها بصور فيها كثير من الالم ، والاضطراب النفسي ،

والشلل الروحي ، ففي قصيدة « حياة » تبين لنا مكونات حياتها النفسية وهي : قلب ولوع ، ودموع ، وديوان شعر . وفزع مما يأتي به المستقبل ، وما يوحي به الحاضر .

وفي قصيدة « ليل وقلب » تكشف لنا النقاب عن تمزقها النفسي ، و «أشواك حائرة » تفتح لنا نافذة نطل منها على ما يختلج في أعماقها من شوق الى ألف شيء وشيء . وقصيدة « هروب » تمثل أقصى درجات اليأس من الحياة

والعالم . وتعبر عن شهوتها الطاغية الى الفرار من الوجود ، والهيام في عالم بعيد تخلقه من الاوهام ، والاحلام . وفي قصيدة « ضباب التأمل » تبين لنا أن حياتها خيبة وتمزق يجتاحانها ، وهي - أولا وأخيرا - حياة لا معنى لها . ولذلك تلقى في وجه نفسها بهذا السؤال الصارخ المر :

هذي حياتي ، خيبة ، وتمزق يجتاح ذاتي

هذي حياتي ، فيم أحياها ؟

وما معنى حياتي ؟

ولو مضينا في تأمل جميع قصائد الديوان الاول لما وجدنا بيتا واحد يخالف هذا الواقع الذي صورناه ، وقد

ورد في هذا الديوان قصيدتان في الحب . ولكن هذا الحب ، كما هو واضح ، لم يقدر له الدوام ، فسرعان ما قضي

عليه بالفشل . ولهذا لا نريد في حديثنا عن مجموعتها الاولى أن نشير الى أهمية الحب كمعلم كبير على طريق رحلتها

في البحث عن ذاتها ، ولكنه وجد أخصابا وتأكيدا أكثر حدة في ديوانها الثاني «وجدتها» . لقد قدمت الشاعرة لهذا

الديوان بعدة قصائد هي في وضعها تبدو خارجة عن رحلة البحث عن الذات ، ويبدو لي أن أولى قصائد هذا الديوان

هي قصيدة : « وجدتها » . وفيها توحي لنا الشاعرة بأنها خرجت من ذلك الحب العميق المظلم الذي صورته في ديوانها

السابق ، ولونته بأصباغ الحزن والالم والضياع ، وفقدان الذات ، على المستويين الوجودي والزماني . ولكن القارىء

لا يمكن أن يسلم بهذا الواقع حين يقف في النهاية على حقيقة الامر ، فهذا التفاؤل الذي تجلى في القصيدة يبدو سابقا

لاوانه ، بل يبدو تفاؤلا مشلولا لا يستند الى غير ردود الفعل العفوية التي اوحى بها دخول الشاعرة الى عهد

عاطفي جديد ، وهذا العهد جسدته علاقة الشاعرة الغرامية التي روجت لها في أنحاء نفسها ، وأعطتها أكثر مما تستحق ، وجعلت هذه العلاقة معلما وجوديا كبيرا يخلصها من الضياع والفراغ حتى حسبت أنه لو هبت العواطف الكاسحة من جديد ، فانها لن تستطيع أن تزحزح قلعتها الشامخة :

وجدتها ، ياء اصفات اعصفي

وقنعي بالسحب وجه السماء

ما شئت يا أيام دوري كما

قدر لي مشمسة ضاحكة

أو جهمة حالكة ،

فان أنواري لا تنطفي ·

وانطلاقا من هذا الفرح الانثوي الطفولي ، راحت الشاعرة ، تتغنى بهذه العلاقة دون أن تتعرض الى الماضي الاسود ، فهي لا تذكر القلق أو الحزن أو الفراغ ، ومن ثم خيل لها ·· وللقارىء أنها وجدت ذاتها في الحب ، وأنها اغتنت من الناحية النفسية ، ولم يعد هنا ما يشدها الى الماضي · على أن هذا الامر لايبدو لي دقيقا كل الدقة ، فبرغم أن هذا الحب أخصب حياة الشاعرة على المستوى النفسي والفني ·· فقد كان محكوما عليه بالفشل منذ البداية · والاشارات العفوية التي تنبعث من خلال قصائدها ــ عن وعي وعن غير وعي ــ تبدي لي هذه الناحية · ففي قصيدة « تشك بحبي » تبين لنا أن هذا الحب لم يكن حبا واعيا حقيقيا ، وانما كان حبا مراهقا طفوليا يجسد غريزة الامتلاك ويشبعها ، ولا يجسد شيئا من دوافع التقبل الاجتماعي ، أو شيئا من الاحساس الفردي بمعنى الوجود ، وعمق الحياة ، ولذلك فان الغيرة هي أول شيء يحرص عليه حبيبها ، وتحرص عليه هي أيضا · وفي قصيدة « ساعة في الجزيرة » تعطي الشاعرة وجهة نظرها في الحب فهي تريده : حبا معزولا عن الحياة ثم من وجهة نظر أخرى تبين القصيدة نفسها انشداد الشاعرة المطلق الى الماضي ، وما فيه من نزعات القلق والاحساس بالزمن ، فهي ترهب الغد الذي يأتي ليعقبه يوم اخر ، والعام يعقبه عام اخر ، وتنتهي هي ، وتزول من نفسه ، فلا يبقى منها أثر :

غدا نتغير

وقد انتهى · بنفسك يوما فلا من أثر ·

هذا الشعور الدافيء بنعمة الحب لم يستطع أن يكون أكثر من رد فعل عفوي حيال العلاقة التي تقوم بين فدوى كامرأة وبين صاحبها كرجل ، ولم تستطع ، أن تجعل من هذا الحب ــ كما خيل لها ــ بؤرة تنطلق منها النفس الشاعرة لتعانق الوجود بكليته ، ولتستكشف من خلال هذا التعانق معنى الوجود ، والحياة · ولكي يكسب بعد ذلك شعرها في الحب بعدا خارجا عن دائرة الذات المنغلقة ، فتشهده الحياة الاجتماعية ككل · ويندغم بقضايا قومية ووطنية وبشرية زخمة تغني تجربتها ، كما لم يستطع هذا الشعور الدافيء بنعمة الحب أن يكون نقطة تتوقف عندها رحلة البحث عن الذات ، فسرعان ما سقط الحجاب ، وانكشف الامر على حقيقته ، وبدلا من أن تستمر الشاعرة في التمثيل على نفسها أرادت أن تواجهها بالحقيقة العارية ، ولهذا نجدها تذكر في القصيدة الاخيرة من ديوان : «أعطنا حبا » أن حبها لم يكن أكثر من ملاذ ، وهروب ، دفعها اليه احساسها بالضياع ، وحاجتها الملحة الى بسمات تنسيها آلامها ، وانه لم يكن أكثر من استغاثة غريق بغريق آخر · وطالما أنها لا تملك ما تقدمه لهذا الحبيب فانه هو أيضا لن يجد ما يقدمه · ولذلك ألقاهما الحب المحكوم عليه بالفشل ــ بادئا ــ الى صحراء وتيه من الفراغ والموت والظلام ، والرماد · ومن ثم تعود الشاعرة بحركة شبه لولبية الى نقطة البدء في البحث عن الذات · وتعود من جديد ــ أيضا ــ الى نقل احساسها بالزمن ، الزمن الحقود الجحود المقيت الشرير · الذي أمات فيها الشعر والاماني ·

وفي قصيدة « لا مفر » يتمثل هذا الاحساس بأقصى درجات المعاناة · وتطلق فيها الشاعرة العنان لنفسها لكي تصف لنا شعورها بالجبرية الكامنة في أعماق الذات ، تلك الجبرية التي تمثل جزءا لا يتجزأ من عناصر النفس عندها ·

وبالتالي تكون هذه الجبرية هي مأساة الوجود الانساني بأجمعه · ومن ذلك نستنتج أن الشيء الخفي الذي وجه الشاعرة منذ بداية حياتها الفنية في ديوان « وحدي مع الايام » وجعلها تشعر بالقلق والفراغ والاحساس بالموت ، ما يزال هو نفسه ، وما يزال يكمن في أعماقها ، ولكنها تهتدي هذه المرة ، فبدلا من أن تبحث عن ذاتها في الخارج تعود للبحث عنها في الداخل · وتتخذ هذه المرحلة مسلك التساؤل المشبع بالحيرة عن هذا الشيء

الذي يوجه سيرها ، ويخط دروبها ، ويرفع بين يديهـا صليبها ، وهو الالم والعذاب والمعاناة :

هنالك يرسب شيء خفي

يظل خفيا ولا شكل له

يظل قويا ولا لون له

يوجه سيري ، يخط دروبي

ويرفع بين يدي صليبي

ويحدو خطاي الى جلجلة ٠

ولم تستطع الشاعرة في مجموعتها الرابعة « أمام الباب المغلق » أن تتابع رحلتها في البحث عن الذات بتلك الحرارة وذلك الانفعال ، والزخم ، الذي ميز تجاربها الشعرية الاولى ٠ ويمكننا اذا ما أجرينا بعض المقارنة أن نقول : ان تجربة فدوى الشعورية في دواوينها الاولى أكثر قوة وعمقا منها في ديوانها الرابع أمام الباب المغلق ٠ أما من الناحية الفنية فيمكننا أن نعدل هذا الرأي فنقول : ان تجربتها الشعرية هنا أكثر نضجا وجمالا وتماسكا الا أنه يجدر بالذكر ما سبق أن أشرنا اليه من انها تتابع البحث هنا بطريق واحد وهو الاحساس المطلق بنوع من الحتمية أو الجبرية ٠٠ التي مصدرها الذات ٠٠ والتي تجسم عبثية الوجود الانساني ٠٠ وتثبت خلوه من أي احساس بالمعنى ، ولا يظهر لنا هذا الاستسلام القدري في قصائد الديوان الاولى ٠ وانما في قصيدة واحدة يبدو لـي أن الشاعرة اختصرت فيها حياتها الفنية وأرادت لها أن تكون ستارا حزينا مسدلا في نهاية تجربتها الاكثر حزنا وأعني بها قصيدة « أمام الباب المغلق » ٠ ففيها ترمي الشاعرة الى الاقرار النهائي بانهيارها في أعقاب رحلتها المضنية التي لابت فيها باحثة عن الذات : خارجيا وداخليـا ٠ فالفأس بالرأس ، وبذا قضت مشيئة القدر ، مستودع الخير والشر، وهذا الاستسلام جرد الشاعرة من دفء اليقين ، واردا هـا في حفرة من اليأس العميق ، وتتمثل خيبتها وانهيارهـا النفسي في المقطع الاخير المسمى « بالطرقات الاخيرة » ٠ اذ ترجع الشاعرة من أمام هذا الباب وقد اعترفت نهائيا بأن رحلتها في البحث عن الذات لم تجن منها سوى العبث، والوحشة ، والصمت ، وظل الموت :

لا شيء هنا

عبثا ، لارجع صدى ، لا صوت

عودي ، لا شيء هنا غير الوحشة

والصمت ٠٠ وظل الموت ٠

على اني يمكن الزعم بأن قصيدة « تاريخ كلمة » تؤلف معادلا موضوعيا لقصة الضياع التي عاشتها الشاعرة، ولكن هذا المعادل لا يندرج على المستوى الداخلي للتجربة ، بل هو مواز ومساير لها من الخارج ، وكان القصيدة جاءت تلخيصا ، واختصارا هيكليا لمأساة الشاعرة دون أن تحاول بث روح الحياة في هذا الهيكل ٠ ولما كان الانهيـار ، والاستسلام القدري هو الختام الحزين لرحلة البحث عن الذات فان المجال يصبح مفتوحا أمام الشاعرة لتطـرق موضوعات شتى بعيدة عن صلب القضية التي نذرت لها نفسها طوال سنوات تجربتها الشعرية ٠ وهذا هو السبب الذي دفع الشاعرة الى نظم بعض القصائد في الرثاء والحزن الذي أوحت به مواقف متباينة أشبه ما تكون بالمناسبات الشعرية ، كما أن الواقع نفسه الذي وضعت الشاعـرة نفسها فيه هيأها لتقبل نكسة حزيران على نحو يفضل ذلك التهيؤ الذي كان يملأ نفسها عبر سنواتها الفنية السابقة ٠

فنحن على علم بأن الشاعرة لم تطرق الموضوعات الوطنية والاجتماعية الا لماما وبشكل يسير لا يعد شيئا بالقياس الى الجوانب الاخرى من شعرها ٠ ونشير في هـذا المجال الى قصائدها : « نهضة » ، « نداء الارض » ، « لاجئة في العيد » ، و « رقية » ٠٠ وغيرها ٠ ولكنها في ديوانهـا الليل والفرسان الذي صدر عام ١٩٦٩ نظمت قصائـد وطنية تفيض بمشاعر نبيلة جياشة ، لا تصدر الا عـن شاعر يفترض أنه ملتزم اجتماعيا ولم تكن هي كذلك ٠

ويكمن مسوغ ذلك فيما أشرنا اليه من أن الفراغ الذي حل محل القضية الذاتية هو الذي جعلها بحيث تكون قادرة على هذا العمل ٠ ومع كوننا أقررنا بهذا الواقع فان ما نظمته فدوى في الوطن والصمود والكفاح - في رأينا - لا يبلغ في مستواه حدا يجعلنا نتصور أنها جعلت من القضيـة الوطنية بديلا فعليا لقضيتها الشخصية ، قضية البحث عن الذات ٠ ولهذا ، نجد الرؤية الشعرية عندها مهزوزة لا تقر على حال ، فهي متشائمة حزينة حينا ، صامدة متفائلة حينا اخر ، وتبقى قصائدها في هذا المجال لا تتعدى أن تكون منظومات مماثلة لما ينظمه الشعراء الشبان ٠ ومعنى ذلك أن الشاعرة لم تقدم شيئا تضيفه الى تجربتها الشعرية لا على مستوى القضية النفسية ولا على مستوى الاداة الفنية، وتبقى قيمة فدوى من الناحية الادبية محصورة في اطـار تجربتها الرومانسـية الغنية ٠٠ التي أفصحنا عنهـا في دواوينها الثلاثة الاولى وديوانها الرابع أمام الباب المغلق٠

الأطفال يطاردون الجراد

عبد اللطيف عقل

« الى طلاب وطالبات مدارس الضفة الغربيـــة
المحتلة والشمس ي حقائبهم »

تجاوزت الخيل أعرافها والأعنه
وألقت بأحمالها في غبار البيادر ، قبل المواسم
لا يحمل الوقت غير الجراد المسلح ،
لا تضع الارض الا الصغار المحبين ،
ان التخطي هنا ساكن في الاجنه •
هنا شجر اللوز يثمر كل الأماني •
هموم الشوارع مسكونة بحضور التلاميذ ،
هذي البنات الزهور تقاتل بالاخضر الثر ،
هذا الجراد المسلح بالخوذ الواقيات
وهذي البنادق اعينها تزرع الرفض ،
هذي الهراوات مسحوبة من جذور التراب المصادر
بعد الدموع وقبل الاغاني •
ترى كان (بلفور) يدرك ،
هم العصافير قبل ولادتها ،
رحمة بالمسيح خذوا فروة الرأس مسلوخة ،
والجدائل هذي خذوها ،
الدفاتر هذي خذوها ، المساطر ،
لكن هذي الوجوه المليئات بالشمس
لا تدعيها البنادق ، لاتدعيها الهراوات ،
كيف اعلم حب المسيح وهذا الجراد المسلح مزدحمـــا
بالمكان ؟!
كتبت على اللوح : — هذي الطباشير معجونة بالتوجع —
كان المسيح
وكان التلاميذ في ساحة المهد مثل الحمام
المعبأ بالرفض والاقحوان •
وجارتنا خارج الصف ، بعد الزجاج وبعد التوقع ،
تنشر بعض الغسيل ، تداوي حنيني الى ثوبها ،
بالتوقف لصق الجدار
وبين ارتعاشتها وانتفاضي ، مئات الجراد المسلح :
هذه مصفحة بالجنازير تقطع من ولهي ،
والمسيح على بيت لحم ، وبين احمرار الطباشير
واللوح يسبح في الوهج الأرجواني
توقف !
هلامية حفرة القبر ، ساحلها ، بدؤها ، منتهاها ،
تضم سوانا ولكننا لحمها او • دماها •
مجنزرة تفجأ الباب ، كل الجراد المسلح في ساحة المهد
اين المسيح ، الطباشير واللوح ،
في كل شبر مجنزرة ، ناقلات الجراد المسلح في خاطري،
في عيون التلاميذ ، تحتي وفوقي
ولكن اذا طرفت عينك الأن سهوا تراني
غناء الهراوات غطى صراخ الزجاج ،
وهرب كل المسامير من خشب الباب ،
في سطح كل عصا جلدة ،
ليس تعرف سر نعومة جلد التلاميذ
كان اللقاء على قدمين وساق
تقيس العصي ارتفاع الدفاتر
بينهما كان وجه المسيح المصفح
يعرق في فرح اللوح ، يخلع عن وجه (بلفور)
كل ثياب الزمان •
ومرت عصور ، شهور ، ثوان •

وما كنت اعرف كيف تمر الثواني
غناء الهراوات علمني لغة تلفظ الحاء خاء
وطوحها عالم بالمواضع ، في سطحها جلدة
قبل ان سقطت في التراجع
ناطحها رأس (هاني) ★

وهاني صبي ، كبير الهموم على صغر السن ،
في خده شامة وعلى رأسه شعره الكث كالتاج
ياتي الى حجرة الدرس
يملأ حقيبته بالدفاتر او بالحجارة ٠
نما في المخيم تحت الصفيح
وتحت الظلام وتحت المطر ٠
اذا الريح تعوي يموء بعينيه أخوته ،
لاينامون ، في الكوخ أم ،

وعند حدود التهيؤ للموت والده ،
يحفر الصخر بحثا عن النفط والخبز ،
لكنه الخبز في ارضنا في صدور الخفافيش
او حلقات السفر ٠
وكيف اذا الريح هبت من الشرق او فوهات البنادق
لا يصمد السقف ان كان من تنك
والجدار من (اللبن)
أحذية الجند تعرف ضعف الجدار ، وهمهمة الريح
تعرف ان السقوف من التنك الرخو ،
(هاني) يسائل أخوته الواجمين ،
اذا كتبوا الواجبات ويبكي :
اذا الريح في الباب تقتل ود الشجر ٠
(وهاني) صبي ، اذا علق الرفض معطفه حين يتعب ،
يشتط في الود ، كل بنات المخيم يعرفن هاني ،
اذا كان عرس ، يرتل بعض المواويل
في صوته الحزن والرفض ، مهما يحاول
تبقى اغانيه مسكونة بالمرارة ٠

★ تلميذ مدرسة ثانوية بنابلس ٠

ولادته رغم حرص المجاعة ،
جاءت مع الفجر
مشمولة بالمشيئة والعافية ٠
وشرع ساعتها (باب طوباس) فكيه
كان الاثير يزمجر بالغضب الفج والاغنيات ،
ولم يك هاني قصير الخطى ،
اول اليوم جاء ، وعند الظهيرة رافق والده ،
عطش في المخيم ، ملء العيون
وملء خلايا الصفيح
هي الشمس ترسل أحبالها الكاوية ٠
أب ضالع في الوداعة
من ربع قرن ٠ ترجل قسرا ،
وظل الحصان على شاطىء البحر يصهل ،

والسرج مازال ، والموج يغسل أعصاب (عكا)
وفي الفم طعم الرحيل ، هنا خيمة ،
ثم تغدو صفيحا ونجتر أيامنا الباقية ٠
وأم على عهدها منذ أيام عكا
تمشط تحت الصفيح جدائلها الغاضبات وتحلم :
يندفع الجند في الكوخ ،
دورية من كلاب ، غريب ذكاء الكلاب الغريبة ،
لم يطلع الصبح ، ما تسلقت الشمس
زاوية الشرق ، لكن هاني ،
تسلق آخر يوم على سلم السنة الثانية ٠
وهاني صبي ، تغذى ثماني سنين ،
عيون الجنود ،
والقمه والجوع تحت الصفيح التعرف ،
حتى غدى عارفا بالاساليب
صارت اساريره لاتنام
وصار المخيم تعلم ان اللألىء تملأ قلب الصفيح
وليس ضمير المحارة ٠

الراغب الأصفهاني

عبد الرحمن السارِيسي

ربما كان ابو القاسم الحسين بن مفضل المعروف بالراغب الاصفهاني ، من اكثر كتاب تراثنا ظلما من قبل اصحاب الطبقات والتراجم الذين عاصروه والذين جاءوا بعده ، فهم لم يذكروا عنه الا نتفا صغيرة جدا لا تعطي عنه صورة ولو غامضة ، وبعضهم لم يذكر عنه شيئا على الاطلاق ، فظل من بعدهم لا يعرف عنه الناس شيئا ٠

غير ان آثاره ، عن الدراسة ، نمت عنه ، وتنم ، بحيث يصبح النظر فيها يستتبع وضع صاحبها في موضعه الصحيح من التقدير والاجلال ٠

تعريف :

فبعض المراجع تكتفي من تفاصيل حياته « بان أصله من اصفهان ، وعاش ببغداد » (١) ، وعلى الورقة الاولى من احدى مخطوطاته وجد تعليق يذكر انه كان في عصره اجل من تصدر للوعظ والتدريس والتأليف ، وله رحلة للهند وغيره ، ولما رجع الى نيسابور ، مات في الطريق فنقل لنيسابور ودفن بها ، وقبره يزار ويستجاب عنده الدعاء (٢) ٠ وعلى مخطوطة اخرى وجد تعليق آخر انه لا يتكلم الا بما فيه فائدة دنيوية او اخروية ، وكان حسن الخلق والخلق جدا ، كان يستعيد الناس مجاورته لهم ، مات باصفهان ٠٠٠ ودفن بها (٣) بينما يذكر مرجع آخر ان وفاته قد اتفقت في بغداد دون اصفهان (٤) ٠

وهي اشارات طفيفة جدا ، كما يبدو ، تحمل بعض الباحثين على القول « اننا لا نعرف من تفصيلات حياته شيئا اكثر من انه توفي في بداية القرن السادس الهجري (٥) » وهذه الملاحظة تكاد تأخذ بها سائر المراجع الحديثة (دائرة المعارف الاسلامية ، جورجي زيدان ، الزركلي ، عمر رضا كحالة) ٠

وفاته :

ومن آيات عدم الاهتمام بهذا الرجل عدم الجزم بتاريخ وفاته ، اعني عدم تحديد العصر الذي عاش فيه ،

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ، دار القلم ومؤسسة فرانكلين القاهرة ١٩٦٥ ، الصفحة ٨٥٤ ٠

(٢) مخطوطة حل متشابهات القرآن ، للراغب ، مكتبة راغب باشا ، رقم ١٨٠ ــ استانبول ٠

(٣) مخطوطة الذريعة الى اخلاق الشريعة ، رقم ٧٦٨ بمكتبة ابراهيم باشا ــ التي هي جزء من المكتبة السليمانية في استانبول ٠

(٤) محمد باقر الخوانساري ، روضات الجنان ، الجزء الثالث ، الصفحة ١٩٧ ٠

(٥)

Brockelmann , Arab Litt . Vol . 3. p. 505

وهو امر بالغ الخطورة،في تكوين صورة محددة عن الرجل، واثره ، واطار الزمان والمكان الذي اكتنفه • اما سنة ولادته فانها اكثر خفاء ، فان كل المراجع ، دون استثناء، لم يتعرض لها ، ولن يخفف من هذا الحكم قول القائل انه توفي وعمره ست وستون سنة (٦) •

والاضطراب في تاريخ وفاته كثير ، فبينما يذكر بروكلمان انه توفي عام ٥٠٢ هـ الموافق ١١٠٨ م ، ويتبعه في ذلك اغلب المراجع الحديثة ، يذكر صـاحب الكنى والالقاب (٧) انه توفي عام ٩٦٥ هـ وكذلك ينقل صاحب روضات الجنات (٨) عن تاريخ اخبار البشر ، ولكن صاحب اعيان الشيعة (٩) يخطوّه في هذا التاريخ لانـه يجد ان الخوانساري ذكر ان وفاة الراغب قد كانت قبل وفاة جار الله الزمخشري الواقعة في ٥٣٨ للهجرة ، ويذكر صاحب كشف الظنون ان الغزالي كان يستصحب كتاب الذريعة (وهو أحد كتب الراغب) دائما ويستحسنه لنفاسته (١٠) وهذا يعني ان الراغب قد توفي حتما قبل ٥٠٥ هـ بعشرات السنين •

فهل نأخذ بما قال صاحب « البرهـان في علوم القرآن » من ان الراغب قد توفي عام ٩٣٦ هـ ، اي بعد وفاة الصاحب بن عباد بحوالي عشر سنوات ، وهو الوزير الذي اكثر الراغب من ذكره في مؤلفاته في الادب واللغة، وذكره له ولاقواله يدل على ان بين وفاة الرجلين اكثر من عقد من الزمان ، لا يكفي لانتشار اقوال رجل مهما كانت شهرته السياسية • وهنـا نجد ان نميل الى الاخذ بقول القائل ان الراغب كان في رأس المائة الخامسة للهجرة (١١) اما من حدد وفاته بعام٤٠٢هـ ، او بعام ٤٠٦ (١٣) ، فهي افتراضات لا تبعد عن الحقيقة ، وان كنا لا نستطيع الجزم بها ، وربما عدتنا امور كثيرة على تزكية هذه الفترة تاريخا لايام وفاة الراغب الاخيرة، منها انه يروي الكثير من اشعار المتنبي (٣٥٤هـ) ولم يرو ولو بيتا واحدا لحكيم المعرة الذي توفي عام ٤٢٧ هـ •

ندرة الترجمة :

اذا ثبت في الاذهان ان الراغب الاصفهاني كان في رأس المائة الخامسة للهجرة ، كما تقدم ، فاننا نطالب كتب الطبقات والتراجم التي تلت هذه الفترة بشيء من التعرض لحياته وأثره وآثاره ، ولكننا تخيب فينا الامال حينما لا نظفر بشيء من كل من معجم الادباء ، ويتيمة الدهر ، ووفيات الاعيان ، والوافي بالوفيـات ، وفوات الوفيات ، وعقود الجمان على وفيات الاعيان ، وتاريـخ الحكماء للقفطي ، والخريدة ، ودمية العصر ، ونزهة الالباء في طبقات الادباء ، وطبقات الشافعية للسبـكي

---

(٦) الورقة الاولى من مخطوطة متشـابهات القرآن ، مكتبة راغب باشا رقم ١٨ ــ استانبول •

(٧) عباس القمر ، الكنى والالقاب ، المجلد الثاني ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٣٥٨ ، الصفحة ٢٤٠ •

(٨) الخوانساري ، الروضات ، الجزء الثالث ، الصفحة ١٩٧ •

(٩) محسن الامين الحسيني العاملي ، اعيـان الشيعة ، الجزء ٢٧ الصفحة ٢٢٠

(١٠) طاش كبرى زاده ، الجزء الاول الصفحة ٥٣٠

(١١) السيوطي ، بغية الوعاة ، مطبعة الخانجي ١٣٢٦ الصفحة ٣٩٦ ، وحاجي خليفة في كشف الظنـون المجلد الاول الصفحة ٣١٧

(١٢) محمد كرد علي في تحقيقه لتاريخ حكماء الاسلام للبيهقي هامش الصفحة ١١٢

(١٣) الورقة الاولى من مخطوطة حل متشابهات القرآن ، مكتبة راغب باشا ، رقم ١٨٠ استانبول

وللاسنوي وللحسيني ، وطبقات اعلام الشيعة ، وطبقات الحفاظ .

كل هذه المراجع قد صمتت عن الراغب صمتا غريبا، وهذا يفتح مجال التفكير في الاسباب .

فهل يكون السبب في تنقل الراغب بين اصفهان وبغداد ؟ وهو امر نحدس به حدسا ؟ أم انه عدم تقرب الرجل من المناصب السياسية في الوزارة والكتابة ؟ أم ان السبب يكمن في عدم انتماء هذا الكاتب الى حزب سياسي عقائدي يكفل له النشر والخلود ؟ ام يكمن في اسلوبه المتحرر من قيود الصنعة اللفظية التي كانت تكفل لمحتذيها السمعة والصيت ؟ ان الباحث المدقق في دراسة الراغب لا يستبعد كلا من الاسباب ، بل قد يرى انها قد تضافرت عليه فتركته نسيا منسيا .

معتقده :

لقد تكرر اطلاق الراغب لقب امير المؤمنين على الامام علي بن أبي طالب ، من بين سائر الخلفاء الراشدين الذين قلما ذكرهم في مصنفاته ، وهذا دعا بعض مؤلفي تراجم كتب الشيعة ان يعتبروه من أئمتهم(١٥) ، وحينما صنف بعض مؤلفهم «ببلوغرافيا» في مصنفات الشيعة جعله واحدا ممن ذكر آثاره(١٦) ، ولم يفت صاحب أعيان الشيعة ان يدرجه واحدا منهم ، بل يحدد باحث آخر منهم انه من حكماء الشيعة الامامية (١٧).

وحسبته العامة، وبعض الخاصة ، من المعتزله، وذلك للتوافق في بعض الاصول ، كما يذكر بعض الباحثين(١٨)، وهكذا كان يطلق جلال الدين السيوطي يقول « حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي .. اذا بالقاسم الراغب من أئمة السنه ... وقرنه بالغزالي »(١٩) ، وهذا الذي يذكره كثير من الباحثين حينما يكررون انه من حكماء الاسلام واعلامه ، بل يحدد بعضهم انه من الشافعيين « كما استفيد من فقه محاضراته » (٢٠)

وقد يرجح الباحث هذا الرأي الاخير ، فيما يدين به الراغب من بين الفرق الاسلامية ، اذا قرأ مخطوطة له بعنوان « رسالة في الاعتقاد » واكتفى منها بفقرة واحدة: الفرق المبتدعه هي المشبهة ونفاة الصفات والقدرية والمرجئة والخوارج والمخلوقية والمتشيعة ، فالمتشبهة ضلت في ذات الله ، ونفاة الصفات ضلت في صفاة الله ، والقدرية في افعاله ، والخوارج في الوعيد ، والمرجئة في الايمان ، والمخلوقية في القرآن ، والمتشيعة في الامامه ، والفرقه الناجين هم اهل السنة والجماعة الذين اقتدوا بالصحابة ، فمعلوم ان الله عز وجل رضي عنهم حيث قال : لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة . ومعلوم انه لم يرض عنهم الا بعد صحة اعتقادهم وصدق مقالهم وصلاح افعالهم (٢١) .

وفي المخطوطة نفسها ان أئمة الاسلام هم مالك

---

(١٥) الخوانساري ، روضات الجنات ، الصفحة ١٩٧

(١٦) اغابزرك الطهراني في معجم الذريعة في تصانيف الشيعة

(١٧) هو الشيخ حسن بن علي الطبرسي في كتابه اسرار الامامه عن عباس القمي في الكنى والالقاب الصفحة ٢٤٠

(١٨) محسن الامين العاملي ، اعيان الشيعة ، الصفحة ٢٢٠

(١٩) بغية الوعاة في اخبار النجاة ، الصفحة ٣٩٦

(٢٠) الخوانساري ، روضات الجنات ، الصفحة ١٩٧

(٢١) في مكتبة سعيد علي باشا رقم ٣٨٢ وهي احدى مكتبات المكتبة السليمانية الكبرى باستانبول

بن انس ، والليث بن سعد ، والاوزاعي ، وسفيان الثوري وابن عينيه ، والشافعي ، واحمد بن حنبل .

على ان للراغب نصيبا من الحكمة والاشتغال بالادلة العقلية الى جانب ادلة الشرع النقلية ، وهنا نذكر بعض المراجع « انه من حكماء الاسلام الذي جمع بين الشريعة والحكمة في تصانيفه »(٢٢) ، ولا ترضي هذه المعادلة بعض الباحثين فيغلب احد جانبيها على الاخر بقوله « وكان حظه من المعقولات اكثر »(٢٣) .

آثاره :

بينما تكتفي بعض المصادر بوصفه انه صاحب المصنفات ، يذكر بعض آخر انه صاحب اللغة العربية والحديث والشعر (٢٤) ، وثالث يضيف : والكتابة والاخلاق والحكمة والكلام وعلوم الاوائل (٢٥) ، ورابع يذكر أن مؤلفاته سائرة سير الشمس والقمر ، وهو العالم الفاضل الاديب المفسر اللغوي المتكلم الحكيم الصوفي(٢٦) .

واحاول فيما يلي ان اتعرض لما توصل اليه البحث من آثاره بالوصف الوجيز :

١ — مقدمة التفسير — اورد في اوله مقدمات نافعة في التفسير وطرزه (٢٧) ، ثم شرع تفسير سورة الفاتحة ، ثم سورة البقرة حيث انتهى الى قوله تعالى « واولئك هم المفلحون » ، ويقع التفسير في ٦٩ ورقة . كما يبدو من مخطوطة في مكتبة اياصوفيا باستانبول ، ولعله الذي طبع بالقاهرة عام ١٣٢٩ ذيلا لكتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، وهو التفسير الذي قيل ان البيضاوي، في تفسيره قد أفاد منه » (٢٨) .

٢ — « تفسير القرآن » وهو موجود في مخطوط آخر بمكتبة اياصوفيا باستانبول ، ويقع في ٢٧٤ ورقة ، لم يوجد منها سوى ١٦٨ تصل الى تفسير قوله تعالى « نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم » ، وكثيرا ما يلتبس الامر على الباحثين فيطلقون اسم تفسير القرآن على كتاب اخر للراغب هو « درة التنزيل » .

٣ — درة التأويل وعزة التنزيل في توجيه الآيات المكررة والمتشابهة ، وهو كتاب يقارن بين الآيات المتشابهة الالفاظ المتباينة الدلالات في السورة الواحدة او في السور المختلفة ، كقوله تعالى في سورة « البقرة » وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ، وقوله في سورة الاعراف « ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة » . وقد طبع هذا الكتاب اخيرا في بيروت ونشرته دار الآفاق الجديدة، ونسبته خطأ للخطيب الاسكافي الذي أملاه عن الراغب برواية ابن ابي الفرج الآردستاني .

٤ — مفردات الفاظ القرآن : — وهو معجم مرتب على حروف الهجاء في تناول بعض الالفاظ والتي وردت في القرآن وتحتاج الى شرح وتوضيح . وقد طبع عدة مرات بعضها في ايران ، واحدى هذه الطبعات بتحقيق نديم

---

(٢٢) الورقة الاولى من مخطوطة الذريعة الى مكارم الشريعة رقم ٧٦٨ بمكتبة ابراهيم باشا بالسليمانية في استانبول

(٢٣) البيهقي ، تاريخ حكماء الاسلام ، الصفحة ١١٢

(٢٤) المصدر السابق

(٢٥) الخوانساري ، روضات الجنات ، الصفحة ١٩٧

(٢٦) محسن الامين العاملي اعيان الشيعة الصفحة ٢٢٠

(٢٧) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، الجزء الاول ، الصفحة ٣٠٦

(٢٨) نفس المصدر

(٢٩) من مقدمة الكتاب المطبوع ، نشر مكتبة الكليات الازهرية

مرعشلي ، وهو يشهد على طول باع مؤلفه في التفسير واللغة وتذوق العربية .

٥ ـ تفصيل النشأتين وتحفيل السعادتين ـ وهو كتاب في الاخلاق الاسلامية يبحث في نشأة الانسان الاولى يوم خلق الله الدنيا ، ونشأته الثانية يوم البعث ، على ما يبدو ، ويبحث ، سعادة الانسان في الدنيا وفي الآخرة ، وقد طبع الكتاب لاول مرة عن مخطوط بيت المقدس المكتبة الخالدية ، ثم طبع عدة مرات في صيدا ، وفي بيروت ، وفي مصر .

٦ ـ الذريعة الى مكارم الشريعة ـ وهو كتاب في الاخلاق الاسلامية ايضا . حاول المؤلف فيه ان يبين كيف يصل الانسان الى منزل العبودية التي جعلها الله تعالى للاتقياء ، وكيف يترقى عنها اذا وصلها الى منزلة الخلافة التي جعلها الله تعالى شرفا للصديقين و « الشهداء » . وقد طبع الكتاب في القاهرة عام ١٩٧٣ ، وراجعه طه عبد الرؤوف سعد ، ويقع في سبعة ابواب منها العقل والعلم والمنطق ومنها القوى الشهوانية ومنها القوى الغضبية ومنها العدالة والظلم ، ومنها الصناعات ، وهو الكتاب الذي قيل ان الغزالي كان دائما يستحسنه لنفاسته .

٧ ـ تحقيق البيان ـ وهو في احدى مكتبات مشهد ، وهو في اللغة والكتابة والاخلاق والعقائد والفلسفة وعلوم الاوائل (٣٠) .

٨ ـ ادب الشطرنج ـ ذكره بركلمان .

٩ ـ أفانين البلاغة ـ وهو من الكتب التي قال السيوطي (ـ ٩١١) انه وقف عليها

١٠ ـ اخلاق راغب ـ ونسبة اليه صاحب كشف الظنون ، ويذكر جورجي زيدان انه موجود في برلين .

١١ ـ الايمان والكفر ـ ذكره صاحب روضات الجنات وقيل يظهر منه انه كان اشعري الاصول .

١٢ ـ رسالة في ادب مخالطة الناس ـ مخطوطة في استانبول

١٣ ـ رسالة في ان فضيلة الانسان بالعلوم وهي مخطوطة في استانبول

١٤ ـ رسالة في الاعتقاد وربما كانت هي مخطوطة الايمان والكفر مخطوطة في استانبول

١٥ ـ رسالة في مراتب العلوم مخطوطة في استانبول

١٦ ـ رسالة في ذكر الواحد الاحد وهي مخطوطة في استانبول

١٧ ـ رسالة في شرح مفتاح النجاح وهي مخطوطة في استانبول وهي شرح لدعاء طويل منسوب للامام علي كرم الله وجهه .

١٨ ـ مجمع البلاغة ـ وهي مخطوطة يشتغل كاتب هذه السطور في تحقيقها ، وتلتقي مع كتاب المحاضرات في كثير من مادتها .

١٩ ـ نكت الاخبار ، وعيون الاشعار وهما كتابان اشارلهما في مقدمة المحاضرات ولم نعثر عليهما حتى الان .

٢٠ ـ كتاب محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ـ وهو اشهر كتبه ، « وهو مجموع من الآيات والاحاديث والاقوال والاشعار والقصص والفكاهات في كل وجه من وجوه الحياة جدها وهزلها ورفيعها ووضيعها ، في العلم والسياسة والعدل والظلم والصناعات والعطاء والاستعطاء والضيافة والشراب والغزل والشجاعة والمجون وفي اخلاق الناس والاثاث والديانات والمذاهب والموت ومظاهر الطبيعة والملائكة والجن وغير ذلك »(٣١) .

وهو ـ خزانة ادب وشعر وحكم وامثال كما يقول جورجي زيدان بحق (٣٢) ، ويقع في خمسة وعشرين بابا ، يسميها حدودا ، وقد طبع في مصر اكثر من ست مرات ، وفي بيروت مرارا ، وقد عملت فيه الملخصات ، وترجم الى

(٣١) د. عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، الجزء

(٣٢) تاريخ التمدن الاسلامي ، الجزء الثالث

الفارسية ، ونقله فلوكل الى اللغات الاوربية (٣٣)٠

والراغب في هذا الكتاب يستوعب بحافظة غريبة اغلب ما قالته العرب من نثر ومن شعر في موضوعات وابواب ومواقف محددة ٠ والشعر الذي يتمثل به اقوى من مأثور النثر ، وهو منتخب من دواوين الفحول (٣٤)، ومع قدرة الراغب على استيعاب الحكم والامثال والاحاديث فانه يزهد في الرواية كأنما ينقل في الاغلب من ذاكرته (٣٥)

«سخف المحاضرات» :

وقد اتى الراغب في هذا الكتاب بالجد والهزل ، بخواطر القوة ومشاعر الارتياح ، وهو حقا كما يذكر البيت الذي ساقه في المقدمة :

الجد والهزل في توشيح لحمتها
والنبل والسخف والاشجان والطرب

وكان له في الهزل باب عقده حول السخف والغزل والزواج وما قد يتعلق بهما ٠

وقد نرى في هذه الايام في ذلك بعض الحرج ، لكنهم في القرن الخامس الهجري وما قبله لم يكونوا يتحرجون من ذكر ما قد نتحرج من ذكره اليوم ، اما لانها كانت تؤخذ مأخذا موضوعيا يسمى الاشياء باسمائها دون انزلاق الى مزاولة العيوب ، واما انها كانت تقصد قصدا للترويح عن النفوس ولتخفيف حدة الجد القاسي ٠

ولم يكن الراغب وحده الذي ينطق عن الهوى في ذكر مثل هذه الامور ، كما قد يحسب بعض الباحثين (٣٦) ولكن نظرة واحدة لكتب الادب التي سبقته وعاصرته تكفي للاقتناع بانه مثل غيره من الكتاب والادباء ٠

اثر الراغب :

ان اثر الراغب على اللغة والادب والتفسير والاخلاق يتضح بجلاء اذا استطاع باحث ان يتناول بالشرح والتحليل كلا من كتب المحاضرات، والمفردات، والذريعة، والنشأتين، ودرة التأويل ٠ فان كل واحد من هذه المؤلفات يطلعنا على ان ابا القاسم قد توفر على علم غزير وقدرة غريبة على التذوق الفني والاستيعاب والحفظ والتمييز ، في المجالات المختلفة التي طرقها ٠ وهذا لا يسمح به حتما مقال في مجلة دورية ٠

واذا كان الراغب يشبه في محاضراته كتاب الالفاظ الكتابية وجواهر الالفاظ ، فانه كان مبدعا تماما في كتب الذريعة وتفصيل النشأتين ودرة التأويل ٠ كل ذلك بأسلوب مترسل متحرر تماما من الصنعة اللفظية التي كانت تخنق الادب والفكر في عصره ٠

وربما اشتهر اسم المحاضرات بعد كتاب الراغب هذا فهناك كتاب محاضرات اشعار العرب لابن الشجري ، وهناك محاضرات الابرار للزمخشري ، وغيرهما ٠

خاتمة :

وبعد ، فهذه اطلالة سريعة على الجهود التي خلفها هذا الكاتب الفذ لادب العربية وفكرها وخلودها ، عسى ان تكون له جوانب في المستقبل اكثر اضاءة واشراقا ، وعسى ان تقوم له دراسات اكثر عمقا واكثر صبرا على البحث النافع ٠

---

(٣٣)
Brocklmann . arabie. L. H. P. 505

(٣٤) انور الجندي ، المختار من كتاب محاضرات الادباء، القاهرة ١٩٦٠ ــ المقدمة

(٣٥) انور الجندي ، المختار من كتاب المحاضرات ، القاهرة ١٩٦٠ ــ المقدمة

(٣٦) د٠ عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، الجزء الثالث ، الصفحة ٤٣



حركة غير عادية

ابراهيم العبسي

(١)

القى شرطي القبض على رجل كان يقف في ساحة المدينة ليلا .. كان الرجل قد خرج لتوه من « الخمارة » .. ولما كان بائسا وحزينا .. فقد راح يدندن بلحن حزين .. فيما كان المطر يهطل بغزارة فوق المدينة ..

سأل الشرطي الرجل :

ـ من أنت ؟

ابتسم الرجل في مرارة وقال :

ـ مخلوق تعيس .

اضطربت ملامح وجه الشرطي .. الذي كان يرتجف بفعل البرد .. وتطلع حوله في حذر وهمس :

ـ من منا بلا تعاسة .. !

ضحك الرجل .. وفرد ذراعيه ليحتضن الشرطي .. غير أن الشرطي تراجع الى الخلف .. واعتدل في وقفته .. ورسم فوق وجهه خيوطا من الغضب .. ثم حدق طويلا في وجه الرجل وقال :

ـ معي أمر بالقبض عليك .

(٢)

أمام مدير الشرطة .. وقف الرجل .. وقد ألقى برأسه فوق صدره .. وراح يتطلع الى حذائه المهترىء .. الملطخ بالوحل والطين .. فاجأته رغبة مباغتة للضحك حين خطر له أن يقارن بين حذائه المهترىء الموحل ، ووجه مدير الشرطة الاحمر السمين .. غير أن مدير الشرطة انفجر غاضبا تلك اللحظة .. كأنما أدرك ما يدور في نفس الرجل :

ـ اعترف بكل خطاياك ولا داعي للمماطلة .

رفع الرجل وجهه الى مدير الشرطة .. ابتسم وقال :

ـ التسكع في الشوارع المغسولة بالمطر .. وشرب الخمر .. وتدخين السجائر ..وحب الاطفال .. والقطط .. والفقراء .. والنساء الجميلات .. وأحب الغناء أيضا رغم تعاستي .

انتفخ وجه مدير الشرطة حنقا وصرخ :

ـ اذن .. أنت هو .

سأل الرجل في سذاجة :

ـ من !؟

قال مدير الشرطة :

ـ الرجل المطلوب لدوائر الامن .

(٣)

في « النظارة » .. وراء القضبان الحديدية ..وقف الرجل يتطلع الى ساحة السجن أمامه .. كان ثمة رجال شرطة يتحركون في آلية في ساحة السجن .. وجوههم فقدت ملامحها .. وتبدو عليهم التعاسة .

شعر الرجل وراء القضبان بالحزن والشفقة من أجلهم .. فخطر له أن يبدد أحزانهم بأغنية عذبة .. فأغمض عينيه وشرع على الفور بالغناء .. عندئذ استدار اليه رجال الشرطة .. وراحوا يبحلقون في وجهه بذهول ودهشة .. فجأة هوت فوق رأس الرجل عصا غليظة .. فتدفق الدم من قمة رأسه .. وراح يرسم خيوطا حمراء فوق وجهه ... عبر خيوط الدم المرتسمة فوق وجهه لمح

وجها أحمر سمينا ·· وقد ارتسم فزع رهيب فوقه ـ لاشك أنه مدير الشرطة

صرخ ذو الوجه السمين :

ـ لابد من محاكمته ·

(٤)

في قاعة المحكمة ·· كان القاضي ·· ومدير الشرطة ·· ورجال الشرطة ·· والحاجب ·· وبضعة رجال يخفضون رؤوسهم الى أسفل في ذل وخنوع ·· وكان الرجل داخل قفص يتطلع بدهشة في زوايا المحكمة ·· وفي الوجوه « التماثيلية » المتواجدة في القاعة ·

سأل القاضي مدير الشرطة :

ـ لا بد أن الخطيئة التي اقترفها هذا الرجل خطيرة ·

أجاب مدير الشرطة :

ـ خطايا ياسيدي ·· خطايا كثيرة ·

تململ القاضي في جلسته وصاح :

ـ خطايا ·· !!

قال مدير الشرطة :

ـ يتسكع في الشوارع ليلا ليسرق المحلات ·· يشرب الخمر التي حرمها الله ·· يدخن السجائر وبداخلها ـ حشيشة ـ ويغني بصوت عال في الشوارع ليفسد أذواق العامة ·

انتفض القاضي في عصبية :

ـ ويغني أيضا ·· !!

أضاف مدير الشرطة :

ـ ولم يكفه كل هذا ·· بل راح يغني في « النظارة » ليفسد عقول رجال الشرطة ·

قفز القاضي في غضب بعد أن لملم أوراقه بسرعة وقال :

ـ اذن ·· لابد من اعدامه ·

(٥)

في ساحة المدينة ·· قبل طلوع الفجر ·· كان الرجل يقف مربوطا الى عامود كهرباء ·· وكان رجال الشرطة يتحلقون حوله في دائرة ·· ورغم خيوط المطر التي كانت تنصب بغزارة في الساحة ·· الا أن الرجل استطاع أن يلمح حزنا غير عادي في عيون رجال الشرطة ·· عندئذ خطر له أن يبدد أحزانهم بأغنية جميلة · بيد أن مدير الشرطة كان قد حضر في تلك اللحظة ·· واستل مسدسه على الفور ·· وأطلق ثلاث رصاصات على رأس الرجل ·

(٦)

عند طلوع الفجر ·· كانت خيوط المطر قد كفت تماما عن السقوط ·· وكان رجال الشرطة يحملون جثة الرجل ·· ويتسللون في هدوء الى المقبرة خارج المدينة ·

(٧)

مع أول شعاع للشمس ·· صحا الناس في المدينة على صوت جميل يردد أغنية عذبة جميلة ·· كان الصوت ينبثق من الجهات الاربع ·· يملأ الاسماع ·· عذبا صافيا شجيا ·· تعجب الناس ·· وراحت رؤوسهم تتمايل فرحا ·· غير أن حركة غير عادية دبت في شوارع المدينة في ذلك الصباح اذ راح رجال الشرطة يتقدمهم مدير الشرطة يركضون في فزع واضطراب في الشوارع ·

ابراهيم العبسي



في رثاء شاعر لبنان ـ الاخطل الصغير ـ

• عبد المنعم الرفاعي

مستهام غفا عـــلى احزانـه ... هزه الذكر في غضيض زمانـه
فانتشى غصنه وفتـح بالذكر ... كأن الشبـــاب في ريعــانه
مدلج في السرى تسـربل بالليـ ... ـل ونام الظـلام في اردانـــه
حامل همـه يدمـدم في الافـ ... ـق فتبكي الهموم من الحانه
ضارب في المدى فكل مجـال ... في البعيد البعيد بعض مكانـه
يرتقي منبـر النجـوم فيلقي ... وهـج النجم حوله من دخانــه
ههنا داره ورجـــع هـواه ... وصباه والشعر في مهرجــانه

★ ★

جئت في موكب الامـير أغني ... وغنائي يغص فـي أوزانـه
اذكر الاخطل الصغـير كبيرا ... عظـم الارز في ذرا لبنـــانه
قبل الشعر ثغره ويديـــه ... فهو دنيـــا أعلامه وحسانـه
تتمنـى الشفـــاه لو تتلوى ... قبلا طوع ثغره وبنــــانه
تتمنى الكؤوس لو مزج الـرا ... ح بانفاسه وخمر دنــــانه
ذلك الشامخ المطل على الخلـ ... ـد وافق الخلود دون عيـانه
لم يزل صوته كـأن الليالي ... سكبت صفوها عـلى تحنانه
لم يزل طرفه يحلق في الـكو ... ن فتهمي الحياة من أجفانـه
كالنسيم العليل خفق جناحيـ ... ـه ووقع الندى رقيق بيانه
(عربي النجـــار شد عراه) ... فـــرع غسانه الى حسـانه

★ ★



أيها الاخطل الصغـير أبا العبـد وكم يرضع العلا من لبانه
قد أتينا بيوم ذكراك جمعـا في شجي اللقا وفي أشجانه
الحمى، يا فتى الحمى، مستباح جلل العـار فيه كل كيـانه
رن فيه الصدى فقاهرة الارض تبث الاسى الى عمـانه
لا أرى في الرحاب غير شريـد مطرق مطبق عـلى أحزانـه
حائر لفه الذهـول فأرخـى من دجى شكه عـلى ايمانه
ثائر ناره تـأجج في الطيـن فيطفو الطمي عـلى نيرانه
أسدلت حولـه الخيام ستورا كي يعيش الحيـاة في أكفانه
أين منـه الربى وكن من المجـد هضابا تشد من أركـانه
أين منه السهول كالامل الاخضر في غضـه وفي ريـانه
أين شط كزغردات العـذارى أو هديل الحمـام في ألوانـه
أين واد مشت اليـه الليالي فاستعارت أمانها من أمـانه
أين بيت له بنتـه الحكـايا عن قديم الهوى وحلو زمـانه
أين كرم وتينـة زرعتهـا كفه أمس في ثـرى بستانه
أين مهـد ومرتع ومقيـل وهزار شاد عـلى أغصـانه
ذهـب الكل غير رجع يـدوي في ضمير المدى وفي وجـدانه

★ ★

كسر القيد واستشاط أخو البأس وأروى من حـده وسنانه
واعتلى صهوة النضال كأن الجـن من ركبه ومن فرسـانه
يهمز الحقد فالروابي شظايا من لظى عزمه ومن بركـانه
أسمر كالقناة لاعبها الريـح فشبت عن قوسه وعنـانه



زاحف والرصاص سد نواحيه / وموج الردى وعصف دخـانه

شك صدر الدجى ومر شهـابا / ناشرا نوره عـلى أكوانـه

واعد الموت أن يلاقيه في الصبـ / ـح على مفرق الوغـى ورهانه

حيثما القدس كبر الفتح فيهـا / تحت أجراسـه وتحـت أذانه

وفلسطـين والفـدائي حر / زفهـا حـرة الى اقرانـه

ودخلنـا اليـك يا بلد الاقـ / ـصي ودمع المحراب في عيدانه

نلثم المنبر الجريـح ونمحـو / ذلة الامس من رضا غفرانـه

وظلال السيوف تلقي علينـا / ان مجد النضال فوق سنـانه

أن روح الشهيد من قبس اللـ / ـه ومن روحه ومن ريحـانه

وعلى كل مأتم قـام عـرس / كقيام الهدى عـلى صلبـانه

★

يا أمير القريض مال بي الشعر / وجئت الغداة من خلجـانه

من مثار الردى على قمم الهـو / ل تلظت بنـاره وعوانـه

من مزار الشهيد ضمخه الطيب / ومر النبي عـن جثمـانه

من ربى خالد وسهل شرحبيـ / ـل ونهر يئـن في جريـانه

ولكم رن في الشعوب ندائـي / وتلاشى النداء في ميدانـه

وتعلقت في الذرا بخيـالي / فتهاوت ذراه في وديـانه

ضاق عني المدى فمنتجع الشعر / تناءت دنيـاه عن شيطانه

جئت ألقي أعنتي وقيـادي / عند شط النـدى وتحت جنانه

يحتويني لبنان سحرا وشعرا / ويصيب الحنان من هتـانه

موطن الوحي لاعدته العوادي / نور انجيله سنـا قرآنـه

القصيدة السوداء

في راقصة سوداء

• امين نخلة •

لا تعجل فالليل أندى وأبرد … يا بياض الصباح، والحسن أسود!
ليلتي ليلتان ، في الحلك الرطـ … ـب ، فجنح مضى وجنح كأن قد ..
وكأني على الغصون ، من الليـ … ـن وهز الثمار ، ما تتأود
في النسيم العبيق ، في النفس الحلـ … ـو ، فيا طيب مسكة تتنهد !
ست : نحن العبيد، في مجدك الاسـ … ـود ، أهل البياض، نشقى ونسعد
من حوالي فرقيك، في مسحة الطر … ة ، شيء كأنه يتوعد ..
وعلى مسقط القميص ، الى الخصـ … ـر ، وعند انفلاته جهد مجهد
يشهد اللين والملاسة والزلـ … ـق ، بأني في غير ما متوسد
ألف غصن ، وألف هزة غصن … وقيام مع الغصون ومقعد
كان اولى لو كنت آخذ بالخصـ … ـر ، ولكن يكاد بالكف يعقد !
سلم الخصر ، فهو ينحط بالحمـ … ـل وينآد حيثما يتأيد ..
طولي ، ليلتي ، على المرمر الرخـ … ـص ، وفي اللمح من سواد الزبرجد
وانزلي الآبنوس في موسم العو … د ، على مترع المناعم أرغد
مهرجان لنا ، ونهزة سعد … تحت ستر الدجى ، وزاد مزود ..





فالهوى ولّى كما ولّى الشّباب

• محمود الافغاني •

شاعر شباب فلسطين

أيها العام الذي ولى وما
في ثنايا خطبه من قبس
ومضى في دربه منصرما
بعد أن دمر كل الاسس

★ ★ ★

أيها العام ، جراحات الهموم
فالكلوم السود في اثر الكلوم
كل من في الكون يحيا في وجوم
ما الذي خبأ في غيب السما
هل يكون العام عاما مظلما ؟
في قلوب الناس لم تندمل
كلها قد وقعت بالمقتل !
وبنار الهم أمسى يصطلي
في غد من أنعم أو ابؤس ؟
أم تراه عام خير مؤنس ؟

★

في فؤادي ايها العام قروح
تتنزى من دمي تلك الجروح
كلما أذكر ما بعد النزوح
كلما أذكر شعبي بالحمى
يتلظى جمر قلبي عندما
داميات من سهام الزمن
كلما يذكر قلبي وطني
والذي مر بنا من محن
ذلك الشعب الذي في الرمس
أذكر الاهل ببيت المقدس

★

كم طويت العمر في قيد الاسى
وقسا الدهر؟! ومن ذا ما قسا؟
وسفين العمر في البر رسا
لا تلم دمعي اذا دمعي همى
دمر الطغيان فيها كل ما
فالهوى ولى كما ولى الشباب
والحمى تعدو به شر الذئاب
فوق صخر الويل ما بين الشعاب
ايها القلب على اندلسي
كان فيها من جنان السندس



أيها العام لقد ضاع الهدى   في بلاد الغرب مذ ضل الطريق
فالعدى تمعن في دعم العدى   تنصر الباطل في ثوب الصديق
كم مشت عمياء في درب الردى؟   فهوت في لجة الواد السحيق
ففحول الغرب أضحت كالدمى   قابعات تحت نعل الاملس
وبها يلهو يهوذاهم كما   يتلهى الفأر طي المحبس

أيها العام الذي ولى وراح   وتوارى في خضيم النوب
تاركا من خلفه كل الجراح   داميات في صدور الحقب
كم وكم أجرم أكباش النطاح   واستباحوا حرمات العرب ؟
كم اباحونا فصرنا مغنما ؟   وغدونا لقمة المفترس ؟
أينما وليت وجها ، أينما   لا ترى غير الدم المنبجس

موطني ٠٠ أسرى حجيج المؤمنين   من أقاصي الارض للبيت الحرام
والى خلدك يا أغلى عرين   كم وكم أسرى بنا وقد الغرام؟
كم سرينا ؟ كم سعينا خاشعين   عند محرابك في جنح الظلام ؟
كم سرينا نلثم الترب وما   فوقه من قائم مندرس ؟
كم سقيناه من الروح دما   من معين دافق محتبس ؟

موطني ٠٠ رغم الذي ولى وزال   لم ازل كالطود مرفوع الجبين
صامدا في وقفتي مثل الجبال   فوق رأس الدخلاء المجرمين
ان لي من أمتي أمضى نصال   وهي حسبي غرة في العالمين
نحن من شعب على الكون سما   نحن من دوخ رأس الاطلس
من دمانا قد تخذنا سلما   طفلنا في عزمه كالبيهس
أيها الاهل الاباة الصامدون   في فلسطين على أرض الفدى
أيها الصيد الكماة الباذلون   كل غال من دماء وندى
اصمدوا ٠٠ مهما تمادى الظالمون   ان للباغين يوما أسودا
دولة الظالم مهما دعما   تتلاشي كتلاشي الغلس
إن للظالم يوما قاتما   سوف يأتي ٠٠ فالعلى لم تيأس




شفة وسر

طاهر رياض

ايماءة ؟! أم دعـوة خجـلى ؟! ماذا تقول شفاهك الكسلى ؟!

فاذا ابتسمت حسبتهـا هتفت أهلا .... وكان هتافها كـلا

★ ★

سر عـلى شفتيك يقلقنـي تأبى لـه الاحلام أن يجـلى

لو همت العليـا تبوح بـه لتمنعت ضنا بـه السـفلى

★ ★

شفتاك والكرز الجريح جرت بهما دمـاه ... فرفتـا دلا

رحل الفتون اليهمـا شغفا وارتـاح في طرفيهما ظـلا

★ ★

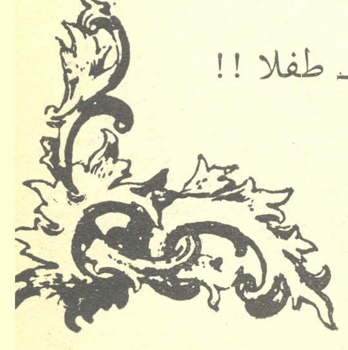
مـالي تملكنـي أمامهمـا رهب ... أعاد تجاربي جهـلا

* *

فكأننـي ما قبلت شـفتي ثغرا ... ولم أبل الهوى قبلا !

★ ★

قالت : ـ وتخجلني ابتسامتها ـ ما زلت في فن الهوى ـ طفلا !!

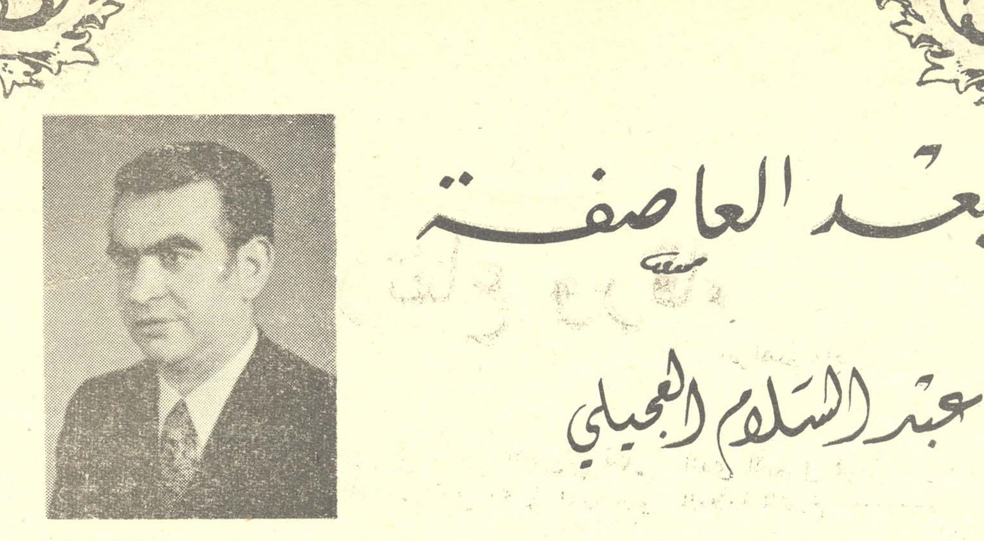


غريب الأماني

شعر : حسن البحيري

الامـــاني ؟! ما حيلتي بالامــاني   ان تكن أنت صغتها ٠٠ يا جنــاني
فجعلت الرمـــال جنــة احلام ٠٠   فكانت غريبـــة في الجنــان !٠٠
ومــلأت الكؤوس من خمــرة الوهم ٠٠   فما بردت صدى ظمـآن !٠٠
قمر شمتــه ٠٠ ومنزلة الاقمــار لم يبغهــا   هوى انســاني
أنت في الارض ٠٠ وهو بــين النجوم   الزهــر من أفقه وراء العيــان
كيف تلقي علي باللوم يــا قلب ٠٠   ومالي بمـــا تقاسي يدان ؟!
أ أنــا موقظ الجراح الـــدوامي   في طواياك ؟٠٠ أم سنان الزمان ؟!
أنت أحببتـــه ٠٠ وأنت عــلى أوتــار   قيثــاره سفحت الاغــاني
وتمنيت ـ ضــلة ٠٠ وهيامـا ـ   أن يظـل الهـوى جناح الامـــان
وارتضيت الحيــاة يدفعها اليـــأس   ضياعا ٠٠ في سبسب الحرمــان
فاحمل الجرح نــازفا ٠٠ وامض في العيش   ٠٠غريب الهوى ! غريبالاماني!


٠٠ حسن البحيري



بعد العاصفة

عبد السلام العجيلي

كل الذي ابقته تلك العاصفه ... هذي السحابة في السماء الصائفه

ألقت على ألق النجوم ذيولها ... فتهافتت أنوارها المتراجفه

وعلى مياه النهر مدت ظلها ... فتسللت في شاطئيه خائفه

من أطفأ البرق الذي هتك الدجى ... ومضا ومن لجم الرعود القاصفه

والريح هاتيك التي اعصارها ... هز الدنى، أنى ترامت واجفه؟..

ان الرياح على الأديم تبعثرت ... وتمزقت نسما قواها الجارفه

أما الرمال فانها آبت الى ... كثبانها تحت الدجى المتكاثفه

وغدا سينبلج الصباح وتلتقي ... زمر الطيور على الاشعة هاتفه

ويسيل ماء النهر معتذرا الى ... شطئانه من اثم امس السالفه

وغدا سينطلق الرعاة كأنما ... تلك الزوابع لم تجلجل عاصفه

حتى السحابة في الصباح ستنجلي ... وتمور طلا في الجنان الوارفه

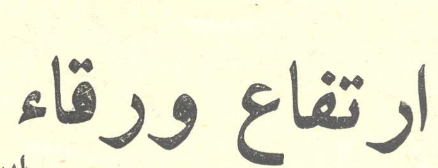
يا قلبي المحزون عاصفة مضت ... فالى متى تشقى بهذي العاطفه

أو ما ترى الاصباح جاءت بلسما ... للمسهدين على الكلوم النازفه

لملم جراحك في صباحك وابتسم ... للفجر ، اذ غسل المنايا الراعفه

وامسح دموعك في الظلام سكبتها ... لا تبصر الانوار عينك ذارفه





ارتفاع ورقاء

ابراهيم منصور

القيت في الحفل التأبيني الكبير الذي اقيم في قرية حلة مارا — منطقة جبلة في ذكرى اربعين العلامة الشيخ احمد محمد حيدر

لا تسلها فلن تبوح السماء ... ليس من بعد احمد انباء
محكم الآي في كتاب مبين ... خشية الله انتم العلماء
انتم الفرقد الوضيء تجلى ... فتوارت في كهفها الظلماء
انتم الواحة الوريفة ندعو ... كل صاد فتعذب الصحراء
سدرة المنتهى حنين اليكم ... صدرها دعوة لكم ونداء
ملكوت السماء وقف عليكم ... وعلى الارض عصبة بؤساء
لكم العزة المبينة في التنزيل طوبى يا أيها الاولياء
هللوا جاءكم من الارض قلب ... عطرته الشريعة السمحاء
هللوا جاءكم من الارض فكر ... سلسلته من طهرها الانداء
هللوا جاءكم من الارض سفر ... عرفت فيه نفسها الحكماء
انه أحمد وهذا صداه ... تتعاطى من دنه الارجاء

* *

اشقاء الجحيم ام ذاك قلب ... عششت في شعابه البغضاء
لمست كبره يداك حنانا ... وعتابا عسى يثوب العداء



اي عتبى علـى الدواء أذا مـا ... رفض الكأس واستبد الـداء

حنطوا الفكر في العقول جمودا ... فعلى كل مقلة مومیـــاء

صلبوا الفجر في الجفون وقالوا ... ان هذا المصلوب طـين ومـاء

انا ارثي للفجر سموه وهمـا ... فاستحت من خداعها الاسماء

انا ارثي لكـل خفقـة قلب ... لم تكحل اهدابهـا الاضـواء

* *

من أراقوا كأس الحياة جهادا ... وعطـــاء فانهم احيـاء

قبسوا جمرة الخلود ابتداعا ... أتراهم من جانب الطور جاؤوا

زرعوا شعلة الهدى وتواروا ... انهم في شريعتي شهـــداء

انت في موكب الحسين شهيـد ... فأشربي من جراحه كربـلاء

مسرف من يقول انك فـان ... انت في عالم الصفاء صفـاء

مسرف من يقول انك فـان ... انت في مقلة الفناء بقـاء

نعمة الحب والعطـاء كنوز ... اين منهـا التيجـان والاثراء

عشتها في ضلوع كوخك كبرا ... تتمنـى وشاحه الكبريـاء

عشتها في هدير جرحك لحنـا ... هو في مسمع الزمان حـداء

عشتهـا في سمو نفسك طهرا ... هكذا عاش وارتضى الانبيـاء

منجم للعطـاء قلبك فانظر ... كيف يشدو بما وهبت العطـاء

* *





ان يكن بيننا وشـائج قربى ... نحن بالروح وحدها اقربـاء
من انا من أكون لولا يقيني ... انني عـالم واني ارتقـاء
واعتقـادي بأن ذاتي جزء ... وستبقى في كلهـا الاجـزاء
ان يكن في الرداء جهر أنـائي ... انمـا السر ما يضم الانـاء
زحزحت نفسي الحجاب فألفت ... الف شمس خلف الحجاب تضاء
صعقت عندها ونادى ضميري ... انا من عـالم السراب بـراء

★ ★

هات حدث ان الحديث شجون ... طـال في معبد السـؤال الثواء
أبلج كاليقـين لفظك فانثر ... من لآلي الابداع كيف تشـاء
(هبطة) جنحت خيال ابن سينا ... فسلوا هـل تمنعت ورقـاء
(وانتشار الاوهام) اشراق نفس ... تسفح النور ما أطلت ذكـاء
ليته سمر الزمـان فتروي ... ما همست الاصباح والامسـاء

★ ★

قم وحدق ان الديـار شموخ ... وفتاها العظيـم نصر عـلاء
وابـا يـاسر ملاحـم زحف ... فيه من زخم ذي الفقار انتخـاء
من لقلب تنفس الصبح فيـه ... انت فيه الايقـاع والاصداء
وشراع عـلى خضم الليـالي ... انت منـبه الربان والميناء

★ ★

لك من جيلنا انحنـاء احترام ... ومن الفكر في العصور انحنـاء





تبارك الحب

عبدالله زكريا الأنصاري

تبارك الحب في روحي ووجداني
وراح يعزف أشجاني وأحزاني

وبات يذكي لحونا كلما عزفت
على شغاف فؤادي شب نيراني

يا خالق الحب والدنيا وملهمه
سبحت باسمك في سري واعلاني

سبحت باسمك فردا واحدا صمدا
أحاط علمك هذا العالم الفاني

سبحت باسمك لما عادني نغم
حلو جميل رفيع هز أركاني

وراح يعبث في قلبي وفي كبدي
يعيد حلم المنى في عالمي الثاني

وكنت أحسب أن الهم أزهقه
والحب عن عالم الارواح أقصاني

فبت في عالم جم الصحاب أرى
للفكر فيه أناشيدي وألحاني

دفنت فيه أماني التي ذبلت
وصوحت وتهاوت كل أغصاني

ورحت في معبدي أفني الحياة ولا
أرى سوى الفكر في روحي وريحاني

وأكتب القول طورا مسهبا خضلا
وتارة أغتدي كالمتعب العاني

أجري وراء المعاني أينما ذهبت
أصطادها بخيالي أو بشيطاني

في معبدي بين أوراقي أقلبها
أقضي الحياة وحيدا بين أفنان

هذا كتاب يسليني فأصحبه
وفيه أقرأ انجيلي وقرآني

وذاك أطرحه حولي وأتركه
ولا أرى فيه شيئا غير عنوان

هذا أمر به مرا على عجل
وذاك أقرأ ما فيه بامعان

اذ تلك مكتبتي أقضي الحياة بها
وأصحب الفكر في صدي وهجراني

وأحسب العمر يحبو نحو غايتــه — من غير خل سوى كتبي وأخـداني
ما كنت أدري بان الحب يرصدني — بـل انه قابع ما بـين أردانــي
والشعر من زمن ما كنت أنشـده — ولا أداريه حيث النثر أغنـاني
اذ الفؤاد خلي والهـــوى عبث — فمات شعري وماتت فيه أوزاني
مالي وللشعر والاهواء ما برحت — بين الجوانح في يـأس وحرمـان
فلا صديق صدوق أشـتكيه ولا — أبثه من صميم القلب أشجاني
ولا حبيب يسليني فأسمعــــه — مما أعانيــــه من هجر ونكران
يا خالق الحب أين الحب من رجل — قضى الحياة وحيدا بـين جـدران
وما هو الحب ؟ حلم أم تراه غدا — حقيقة بعثت من عـالمي الفـاني
أبعد خمسين عاما رحت أقطعهـا — ما بين هم وآلام وأحــــزان
يصيبني في كياني ثـــم يتركني — أقتات حرمانه في كل حرمـــان
وأي حب سمـاوي يروعنـــي — من عالم الخلد ؟ أم جنات رضوان
الحب نبع سماوي وعاطفـــــة — تسمو بها الروح لا من عالم دان

⋆ ⋆

يا من سموت باخلاق لها سمــة — روحية قد تسامت كل حسبـــان
أجئت مصدر الهـام وأخيلــة — أجئت ريا سماويا لعطشـــان ؟
أجئت روحا من الاعلى علـى قدر ؟ — أجئتني هبة زادا لغرثــــان ؟
أجئت نبعا لروحي وهي هـائمة ؟ — أجئتني حلمـا حلوا لهيمـــان ؟
لقد تربعت في قلبي وفي كبـــدي — أجئتني بالهـدى هديا لحيران ؟



اني أرى فيك عقلا راجحا وأرى ... فيك المنى والاماني ذات ألوان
أبعد خمسين عاما فيك لي أمل ... أم أنه حلم للواله العاني
يا مصدر الوحي والالهام يا حلما ... حسبي من الحلم الهامي وايماني
روحي ألى روحك العلوي ظامئة ... وفيك عقلي وفيك الحب ميداني
سبحانك الله سر فوق قدرتنا ... سبحانك الله سر عالي الشان
يا خالق الحب والدنيا وملهمه ... في أمرك الامر قد أطبقت أجفاني
ورحت أحلم في دنيا معقدة ... تغني الاماني وتحيي اليوم خذلاني
يا من بعثت الى روحي غضارتها ... وجئت من عالم تبغين سلواني
فهل أتيت الي اليوم في حلم ... أم أنني هائم في روح نشوان ؟
قد جئتك اليوم في وجد يساورني ... أبثه صادقا من غير كتمان
فلا تلومي شجيا شاعرا ولها ... يهذي هذاء محب واله عاني
ولا تظني به سوءا فان له ... في كل جارحة وقدا لنيران
حسبي من الحب وحي راح يلهمني ... من المعاني طيوفا ذات أفنان
أقتات من ثمر حلو الجنى أبدا ... أحبب به ثمرا في الحب أفناني
من وجهك السمح يكفي نظرة عبقت ... بكل حب وايمان وتحنان
ان السماحة من طهر الكيان ومن ... عقل نقي وروح لاح نوراني
من وجهك السمح أستهدي الحياة وفي ... رؤاك أنسى معاناتي وأشجاني
عذرا اذا ما أتيت اليوم في نغم ... شعرا لعل به أسباب نسياني
يا شعلة الوحي والالهام يا أملا ... منيرة أنت في عقلي ووجداني

الكويت : **عبد الله زكريا الانصاري**




إستريحي

• عبدالله حسين •

استريحي يا بضعة من فؤادي   وأريحي فقد رميت سلاحي
وتناءيت عن مراحي وروضي   يوم كنا وأقعدتني جراحي
ذبل الياسمين بين رياحيني   وجفت مع السموم أقاحي
وتركت الغدير للصادح الزاهي   وهانت على الرياح جناحي

★ ★

اهدئي فالرياح حولك سكرى   مذ هدأنا ونامت الآهات
والفراشات لم تعد هائمات   في سمانا وغابت الانات
واستريحي فلست أبصر طيفا   من هوانا وضاعت الذكريات
هدأ الكون حولنا مذ هدأنا   واسترحنا ونامت العاصفات

★ ★

لم تعد لي قيثارة يا حياتي   تبعث اللحن دافئا والاغاني
والرؤى ذابت الملامح منها   مثلما ذاب في حياتي الاماني
حركيني ، تأكدي من وجودي   لست أدري هل احتواني مكاني
أسمعيني ما تنطقين وقولي   ما تشائين واهمسي في كياني

★ ★

يا عصافير أيكتي صمت العود   وأغفت قيثارتي فاتركيني
واهجري الروض فالشتاء   على الدرب وعودي الى مكان أمين
بت أخشى عليك من برد يأسي   وضياعي فغادري واعذريني
واذكريني فقد يعود الى النبض   فؤادي وقد يعود حنيني





علي البتيري

ـ ١ ـ

بيني وبينك احتراق قبلة ،

تضرمت على شفاه مدفع عتيق

بيني وبينك ابتهال زورق من النجاة ،

حائم من حول مركب غريق

بيني وبينك الدم الجسور شاهد
على حرارة الوصال في الهوى ..

فلن يضيع النهر الجموح ضفتيه

في شتاء حبنا

وحسبنا في آخر المطاف ،

أن يمتد بيننا جسر من الاشواق والغبار والحريق .
حبيبتي ..

تغريبة الجراح صعبة

لكنها تكحل الشفاه والعيون بالبريق

ولادة الهوى الشرقي في بلادنا عسيرة

لكنها تفض باستماتة الرماح عتمة الطريق ..

ـ ٢ ـ

ان نمت صار الحلم خادما
في باب قصرها العريق

وان صحوت تستفيق رعشة الجوى القديم

تموج في مضائق الحروف

أحس صوتها الموتور سابحا بداخلي

كوثرة تضج في العروق

لتستحيل صرخة شهية على شفاه الرعد

حبيبتي ..

أراك في سمائنا السوداء موجة

وضيئة من الشروق

تهز في جداري الطريح الحزين ،

وجمة الدم الطريح في الرفوف

فتنحني مرافىء المهاجر المخضرم الشراع ..

لرحلة مشفوعة بزورق متيم ووعد !

ـ ٣ ـ

قد قال لائمي :

من أين جئت بالورود يوم جئتها ،
وأنت قاحل يدب في عظامك البوار ؟

قد قال لائمي :
وكيف نلت حبها ،

وأنت عامر الوجدان ، لايشب فيك لاعج ،

ولا تهب فيك نار ؟

بالله كيف لا أريق ماء الورد ،

عند بابها

وظلها الظليل يوم همت في الصحراء

حط واحة خضراء فيأت

مواقد الهجير في دمي ؟!

بالله كيف لا أطوف حارسا على ابواب قلبها ،
وهي التي يوم انطفأت في مهب الريح

يوم زحف في العراء ارتمي

تسقفت اسوار غربتي

واشعلت بأم عينها سراج صمتي المهجور ،

بانتفاضة الام الرووم انطفت

بقايا البوح في فمي .. ؟!

ـ ٤ ـ

حبيبتي دمشق ...

تراشقي مع الفؤاد أنني

أحببت فيك نخوة الرموش

تجذري في شجر الحنين ،

لاتحاذري

من سقطة السيقان والجذوع ..

فيقظة الهوى الخبيء في الأعماق ،

تغلق الصخور في حنايا الأرض .

وقعها يسردب الطريق للرجوع ...

تألقي في سهرة الجولان ،

زركشي فستانك الحربي قبل موعد الزفاف

تقلدي قصائد العشاق ، واخرجي

من هودج الجراح .

فالليل منذ أن نهرته برمشك الصقيل

القى نجومه قلادة في جيد « قاسيون »

وصار راهبا يجرجر الصليب في مدائن الرياح

جماجم الغزاة في كفيه اصبحت

مباخرا تضوعت

من حول مذود الصباح ..

ـ ٥ ـ

الفاتحون ، الهالكون في هواك ،

ألبسوك التاج بعد التاج ،

ألقوا أجمل الاشعار تحت أخمصيك ،

يا اميرة العرب !
تطوفوا من حول قلبك الكبير ،

أحرموا في موكب الحجيج عاما
بعد عام ...

توضأوا من دمعك السبي ،

والرتدوا براقع الخشوع خلسة

تفيأوا فيما مضى عباءة الامام !

لكنهم تسربوا من بابك الخلفي

واحدا

فواحدا

ويشهد الجرح القديم

والجديد ،

انك الشمس التي تقحمت قوافل الجليد

ويشهد الحزن القريب والبعيد ،

أنك اعتليت صهوة العشق الاصيل ،

واختصرت في ملاحم الخيول والغزاة ،

شهوة التتار والقياصرة

أثرت دهشة الفرسان

كلما طلعت في لثام « خولة » المظفرة

أيقظت في أحراش « يعبد » الهوى القتيل ،

في جوانح « القسام » ،

حين عدت ياحبيبتي

حاملة الاعلام في « القنيطرة » .

علي البتيري

رابطة الكتاب الاردنيين

كلمات إلى الراعي

سليمان مشيني

*

حملت أزكى تحية نفحة الفجر النقيه
لك في المرعى على تلك السفوح العسجدية
او بأفياء الحقول المخمليات الشذيه
يا سمير الايك يا الف الازاهير النديه
كلها تبسم لما تلتقي فيك حبيبه
ايها الحادي على انغام سحر قدسيه
من شحارير الربى تشد والاغاني السرمديه
تدرس الكون بصمت صنو أهل العبقريه
باحثا عن سرها تيك الامور الجوهريه
عن جدود عظماء كانوا عنوان الحميه
خلدوا الخير وكانوا من بناة المدنيه
ايها العازف من وحي الهنيهات الطليه
من صميم الروح في الناي الترانيم الشجيه
من مواويل العتابا والاغاني الاردنيه
عن حكايا الغيد لما ترد الماء وضيه
والعيون النجل تروي قصص الحب الصديه
ايها الراعي الذي أيقظت أحلام العشيه
بوركت حبات هذا العرق الثر الوضيه
قانعا فيم احباك الله فالنفس غنيه

عمان : **سليمان المشيني**

عطر من الماضي

يوسف الغزو

كانت الاشجار تعدو مسرعة الى الوراء ، ونسائم الربيع تتدفق من خلال زجاج السيارة المواربة فتحمل الى رئتيه روائح الازهار ، والى روحه عطر الذكريات • تراءت الهضاب المجللة بالخضرة وقد ازدادت مساربها بصنوف الزهر ، وازدحمت جنباتها بحشود الشجر •

كان قلبه يخفق بتأثير انفعال غامض : رعشات خفيفة تنطلق من قلبه فتنتشر في جسده فتغمره كله بذلك الاحساس الغريب • انه دفق نفس هائل من المشاعر اللذيذة المتلاطمة اللامحدودة ، بل جيشان عاطفي لاحاسيس كانت نائمة او منومة ، او لعله طيران حالم الى ايام الطفولة والصبا الجميلة • وعادت صور تلك الايام تتشكل امام ناظريه •• وكان اشدها وضوحا في خيانه تلك الايام التي كان يسافر فيها الى المدينة لامر من الامور ، فيشاهد بهارجها ، أضواءها ، شوارعها العريضة النظيفة ، محالها المزدحمة بصنوف البضائع ، بناياتها العالية ، ومركباتها الفخمة •• كل هذا وغيره كثير مما يترك في خياله الصغير اثرا عميقا ، وفي روحه الصافية تعلقا بالمدينة وحبا لها •

نظر نحو زوجته الجالسة الى جواره فكانت تنتهب النظر الى مفاتن الطبيعة بسعادة غامرة وكان أطفاله الثلاثة في المقعد الخلفي يعبثون بالعابهم • سر لسعادة زوجته بهذه الرحلة الجميلة الى قريته ، ولكن سعادتها ليست على أي حال كسعادته ذلك لان هذه الاماكن الجميلة لا توحي لها بغير الجمال المجرد عن الروح •• مناظر طبيعية فاتنة يمكن مشاهدة مثلها او اروع منها في أماكن اخرى من هذا العالم الواسع • أما سعادته فلا يمكن لاحد أن يستشعرها الا من غاب عن مرابع طفولته وصباه ردحا من الزمن ثم عاد اليه • وانه لا يدري كيف استطاع أن يغيب عن قريته عشر سنوات مواصلة دون أن يشده الحنين اليها ؟ لعلها مشاغله في المدينة ؟ لعلها وفاة والدته الحبيبة ؟ أم لعلها زواجه بفتاة من المدينة ؟ لعل السبب كامن في هذه الاشياء جميعا •

لاحظت زوجته شروده فقالت :

ــ انتبه جيدا يا سالم لئلا تسبب حادثا لنا لا سمح الله •

انتزع نفسه من ذكرياته وقال باسما •

ــ أنا سائق ماهر • رجائي أن تكفي عن التشكيك بمهارتي •

ــ لا تشغل بالك • سيوافق هذه المرة ••

ــ هذا ما أعتقده أنا أيضا •

لم يكن هذا هو اعتقاده • كان لديه شك كبير في موافقة والده على بيع منزلهم القديم في القرية والاقامة عندهم في المدينة • انه يعرف ذلك من خلال الزيارات القصيرة التي كان الوالد يقوم بها للمدينة ، فلا يكاد يمر يوم أو يومان حتى يعلن عن رغبته في العودة الى قريته لسبب من الاسباب وكان سالم لا يدخر جهدا في اقناعه للاقامة الدائمة عنده وبيع مسكنهم القديم مبررا طلبه هذا بانه لا يجوز أبدا أن يبقى والده وحيدا في القرية يعتمد على الاقارب في بعض شؤونه وبيت ابنه مفتوح في المدينة مرحبا للاقامة فيه • وفي كل مرة كان الوالد يسوف ويؤجل • ففي الشتاء يقول : « أمهلني يا ولدي لبضعة

اشهر أخرى فقد زرعت ارض البستان بالحبوب ، ولا يجوز أن أتركها للطيور والماشية » وفي الربيع يقول : « أمهلني يا ولدي شهرا أو شهرين حتى أنتهي من قطاف أشجار اللوز » وحين تنقضي أشهر أخرى يقول : « موسم الزيتون جيد لهذا العام ، والاشجار مثقلة بثمارها سيكون لك ما اردت بعد الانتهاء من قطافها » وما ان ينتهي القطاف حتى يكون الشتاء قد أقبل من جديد ، وتكون الارض قد زرعت بالحبوب ، وتعود اعذار الشيخ الى تكرار نفسها •• وهكذا انصرمت السنوات العشر الماضية دون فائدة ، الى ان وجد لا مناص من ذهابه شخصيا الى القرية في محاولة اخيرة لاقناعه ، ولسوف يستعين على تحقيق مسعاه هذا بوجهاء القرية اذا لزم الامر •

واذا ما تحقق له ما أراد فان باستطاعته استثمار ثمن البيت المباع بمشروع نافع في المدينة يعود بالخير عليهم جميعا •

انتزعه صوت زوجته من أفكاره مرة أخرى وهي تقول :

ـ بكم تراه سيباع ذلك البيت القديم يا سالم ؟

ـ هه ؟ •• آه •• سيكون الثمن مجزيا ولا ريب •

قال ذلك وسرح بخياله الى البيت القديم بحجرتيه الصغيرتين ، وفنائه الواسع ، وهو بستان غاص باشجار اللوز والمشمش والزيتون • والى ذلك السور الحجري حوله تخيل الثغرة الواسعة من السور التي تركت كطريق للدخول الى البيت والبستان فشاهد نفسه صبيا صغيرا عائدا من مدرسة القرية متأبطا محفظته المصنوعة من القماش • كانت الثغرة هي او ما تطل عليه حين يغادر المدرسة ومن ثم تظهر الافرع العالية لاشجار الزيتون واللوز •• ثم يتراءى البيت بحجرتيه وقد ظللتهما خميلة من الكرمة المتسلقة • وما ان يدلف الى الداخل حتى يقذف بمحفظته فوق كومة من الفراش الى جوار الحائط ثم يخاطب والدته بلهجة باطنها الانذار : « ماذا ساتغدى اليوم ؟ » فتقول له : « كما تغدينا نحن : لبن رائب ، وسلطة ، ومعقود العنب ، وبيض لو اردت » فيقول لها : « انا لا أحب هذه الاشياء جميعا • الا تعرفين باني لا احبها جميعا ؟ » فتقول وقد بدت الحيرة على وجهها : « الا تاكل شيئا يا سالم عدا السبانخ المطبوخة ؟ » ماذا ستفعل بعد ان ينتهي موسم السبانخ يا ولدي ؟•• كان يحب السبانخ المطبوخة كثيرا فهي وجبته المفضلة في الصباح والمساء ، وحين ينتهي موسم السبانخ ، ويغدو الحصول على عرق واحد منها امرا مستحيلا فكان يشارك والديه طعامهم المعتاد متذمرا •

بدت عن قرب بيوت القرية • وتحركت ذوائب الاشجار العالية ، وتسللت الى داخل السيارة نسائم محملة بعبير الذكريات • شاهد مئذنة جامع القرية العالية في الوسط ثم بدت بيوتها الطينية الصغيرة تنتشر في غير انتظام مكونة فيما بينها مسارب ضيقة متداخلة • وحين اجتازت السيارة مدخل القرية قال احد الاطفال مشيرا الى بيت قريب :

ـ هل هذا هو منزل جدي يا أبي ؟

فقال وهو يتشبث بمقود السيارة :

ـ كلا يا سامي • منزل جدك في الجهة الاخرى من القرية •

وقالت الزوجة :

ـ جما ل الطبيعة خارج القرية لا يتناسب مع هذه البيو ت الطينية العتيقة •

واجتازت السيارة الطريق الترابية الموصلة الى بيت الجد وسط الاشارات الترحيبية من اهل القرية ، وهمساتهم المسموعة حينا ، والغامضة أحيانا • كان يسمع منها : « هذا سالم بن علي السالم جاء لزيارة والده » و

« ماذا جرى كي يحضر الان بعد هذه الغيبة الطويلة ؟ » و « الذي يتزوج من المدينة ينسى القرية واهلها لم تكن هذه العبارات غريبة على اسماع سالم • ولم تكن غير متوقعة كذلك • فغيبته الطويلة عن قريته لا مبرر لها ولم يكن يمنعه عن زيارة قريته عدا المشاغل المعتادة التي بوسعه التخلص منها الى حين • ولقد اعتزم الاعتراف بتقصيره في هذا الامر حين يفاتح فيه فهو على أي حال خير من الدفاع عن قضية خاسرة لا يؤمن بها •

كانت الثغرة الحبيبة هي أول ما أطل عليه من السور ، تبع ذلك ظهور الافرع العالية من اشجار اللوز وقد كللتها ازهارها البيضاء فتفجرت ينابيع الذكريات • خيل اليه بانه ذلك الطفل الشقي العائد لتوه من مدرسة القرية تتأرجح على كتفه محفظته القماشية ، وان معركة ستنشب مع والدته اذا لم يجد السبانخ المطبوخة • انحرف بسيارته صوب الثغرة معتزما العبور من خلالها متناسيا الحجارة المتناثرة في الطريق لم يكن يعبأ بهذه الحجارة بل يقفز عنها ومن خلالها في طريقه الى البيت • كاد ان يصدم بحجر كبير على المدخل لولا صوت زوجته الذي جاءه محذرا في اللحظة الاخيرة •

ـ انتبه الاترى الحجارة تسد المدخل ؟

توقف ، فاستدركت الزوجة :

ـ كدت تحطم السيارة ولا تريدني التشكيك بمهارتك ؟

وقال احد الاطفال من المقعد الخلفي :

ـ هذه هي دار جدي حتما • انها كما كان يصفها والدي دائما •

ومن مقعده في السيارة شاهد الاشجار المثمرة الجميلة التي تزخر بها الحديقة واستمع الى غناء العصافير على اغصانها ، وأمعن النظر في الحجرتين الصغيرتين تظللهما خميلة من الكرمة المتسلقة كما شاهد الى جوار البيت حوضا مزروعا بالسبانخ • وفجأة التفت الى زوجته وقال بحزم :

ـ ناديه • لا تتحدثي الى والدي بخصوص البيع • او وافق هو فلن اوافق انا •

قال ذلك وترجل ثم توقف الى جوار السيارة وملأ رئتيه بالهواء المشبع بعطر ازهار اللوز •

عضو لجنة القصة ـ رابطة الكتاب الاردنيين

يوسف الغزو

الفارس العائد
الى المدينة الخرساء

سلامة جدعون

— ١ —

وحدي على باب المدينة .
الريح تدفعني ويسبقني
هواي الى المدينة
حراسها جمدت محاجرهم ، كسرت بنادقهم ..
صدئت سيوف الثأر في يدهم
فكأنهم اضحوا بقايا قصة الحزن الحزينه

— ٢ —

وعبرت باب مدينتي الخرساء ... وحدي
اجوب شوارع الاحزان
يفجأني الخراب ، تخيفني فيها السكينه
اطفالها قطعت اياديهم
وعيونهم أضحت مرافىء للذباب
مفتوحة .. لا تعرف الاغماض ..
يأكلها التراب

— ٣ —

ومشيت اخترق الازقة والدهاليز القديمه
فاذا جموع شيوخها جمدت على شقة الزقاق
وعصيهم ركزت على أنف الرصيف
يتثاءبون وينظرون الى البعيد
الى البعيد ... الى البعيد ..
الصمت يطويهم فلا حس لديهم او جواب

— ٤ —

ومضيت اخترق الازقة والخراب
وحدي .. أسائل عن فتاة الامس
عن أمل الشباب ..؟!
واظل اصرخ في عيون الريح .. اطرق كل باب
أين الجميلة ؟ ابنة النور المجنح بالضباب
قد عدت اركب صهوة الاشواق
يقتلني العذاب ...
واظل اصرخ في عيون الريح اسال كل باب

— ٥ —

ووصلت ميدان المدينه .. وخطاي راعشة حزينه
المنظر الملعون . يذبحني ، ويكوي اضلعي
ويثير خوفي .
يا هول منظرها ..!! مصلوبة النهدين
فوق حجارة الميدان ..
قصت ظفائرها وجراحها نزافة
اواه تلعقها الذئاب ..!!
فتسمرت قدماي كالتمثال .. مزروع على
ارض خراب ..!

— ٦ —

يا رحلة الدم والعذاب .. والاغتراب
قد مر هولاكو اذن بمدينتي .. هـذي
حوافر خيله
وطئت على الصدر العظيم
اواه قد سكروا وناموا مع نساء مدينتي
حتى الصباح
زرعوا بذور الموت في رحم المدينة والجراح

— ٧ —

ولدت لياليهم افاعي ، نشرت سموم الموت
والدم والضياع ..
الريح والجدران تلعنهم واسوار القلاع ..
واظل اصرخ في خيول الراحلين بلا وداع ..

— ٨ —

الفارس المنفي عاد على حصان الريح مشدود الذراع
سيصارع التنين والمغول .. وهولاكو الجديد
على شراك
لبظل تطوبه بشعرك او رموشك او رداك
باق على عهـد الهـوى ..
باق ولـن ينسى هـواك

سلامة جدعون
عمان — الاردن

قرأت العدد الماضي

بقلم

• خليل هنداوي •

حين كلفني صديقي الاستاذ الاديب ـ مدحة عكاش ـ صاحب مجلة الثقافة ، بان أكون ناقدا لما سبق من مقالات وبحوث أدبية ، سرت الرعشة في نفسي ، لا تخوفا من النقد ولا تهربا •

ولكنني فكرت ان مهمة الناقد اليوم تختلف عن مهمة الناقد بالامس !

لقد كان الناقد يتناول كل شيء ، فينتقده ، مما يقع عليه اختصاصه أو لا يقع ، لانه كان يخضع لاحكام ذوقه الذاتي ، وثقافته المحدودة • بينما ناقد اليوم أصبح مختصا ـ شأنه شأن الاطباء المختصين بطرف من أطراف الجسم ـ فللشعر ناقده ، وللقصة ناقدها ، وللمقالة والدراسة الادبية ناقدها •

فأنى لي أن أحيط بكل شيء علما ؟

على أن النقد نفسه كان ينسجم مع المعطيات الادبية نفسها ، لاني أعتقد بأن الادب والنقد ـ وان اختلفا ـ هما متلاحمان من نسيج واحد •

لذلك آثرت لصديقي أن يوزع قراءة العدد بين جماعة من النقاد ، كل بحسب اختصاصه ، طلبا للانصاف •

وليس احجامي ـ مثلا ـ عن نقد الشعر لاني لا أفهم الشعر ، وليس عزوفي عن نقد القصة لاني أجهل طرائقها ، ولكن وضع الشيء في موضعه أحكم ، واسناد الامور الى اصحابها أقوم !

وبعد هذا كله ••• أصبح النقد خاضعا لتحكم الاهواء في النفوس ، فلا ترى ناقدا الا ممسكا بهواه ، فهو اما معجب مادح يفرط في مدحه ، واما بغيض يسرف في هجوه • وما شيء يحجب الحقيقة السافرة كأقنعة الهوى الاعمى ، واما قابع على كرسي الامارة يطلق احكامه المتجمدة ، على غير بصيرة ، كأنه هو وحده الذي يفهم اسرار الادب •

والناقد ـ قبل كل شيء ـ بصير بالامور ، كاشف للحقائق ، يفرق بين الاثر الادبي الذي ينقده وصاحب الاثر • يسلك نهجا موضوعيا برفق وحذر ، يظهر ما ما توارى من المحاسن ، ويتأنى في كشف المساوىء والمواضع التي يرى فيها بينه وبين منقوده خلافا •

وهو ـ الى ذلك ـ يملك الاداة التي تجعله كفؤا لاحتمال هذه الاعباء ، من ثقافة محدودة ، عربية وغربية ، ومن بيان صحيح صريح ، ورحابة صدر في تلقي التيارات الجديدة التي تهب علينا من كل مكان !

من هذا المنطلق ، قرأت العدد الاول من مجلة الثقافة !

لاحظت في مضمون العدد وفرة البحوث الادبية والنقدية التي كادت تغطي على بقية الفنون الادبية ، كما لاحظت ان اكثر القصائد المنشورة هي من عيون الشعر التي سبق نشرها ، وقصة قصيرة واحدة هي « الفرح بالحرب » للقصاص عادل ابو شنب •

١ ـ المقال الاول : « اللغة العربية بين التأثر والتأثير » للاديب هشام بوقمره •

استهله بكلمة مطولة عن الافول السياسي ، منذ نشأت اللغة العربية ، ودرجت في مسالكها الثقافية والحضارية ، غازية عوالم رحيبة بسطت عليها نفوذها وسلطانها ، وساعدها على ذلك بسط النفوذ السياسي ، حتى اذا انحسر هذا النفوذ انحسرت هي ايضا عن مراكزها ، بعد أن تركت في تلك العوالم آثارا أدبية وعلمية ، ليس للنفوذ السياسي عليها من سلطان •

ونرى الكاتب يدافع عن فترة عصور الانحطاط ، باعتبار أن هذه الفترة ظهر فيها أعظم اتساع للنفوذ الحضاري ، واللغوي العربي •

ولتكن حجة الكاتب في مارآه ما كانت ! ولكن أين يكون النفوذ الحضاري حين تخبو شعلة الابداع ؟

ان عصور الانحطاط ـ على وفرة الكتب المصنعة ـ لم تكن الا آنية للجمع ، ولم تكن فيض نبع ، كأن القرائح التي جفت التفت على نفسها في قوقعة لا تخرج منها ، تلهو حينا بالمبتذل من المعاني ، وحينا تغير على ما تركه العباقرة على موائدهم من فتات !

وهنالك لفتة قيمة من الكاتب الى أسباب افتقار اللغة العربية في المجالين الصناعي والعلمي ، بينما ظلت متدفقة ، في حركات التحرير والاستقلال •

ولا ريب ان تخلف العرب عن الركب الحضاري هو الذي آل باللغة العربية الى مثل هذا التخلف ، لان اللغة هي مرآة أصحابها ٠

حتى اذا أطلت تباشير النهضة الحديثة توزع المصلحون والمفكرون والادباء بين العودة الى الماضي ، وبعثه من جديد، باعتبار رانه هو وحده القادر على تمثيل الشخصية العربية، وبين الدعوة الى التجديد ، باعتبار ان الماضي عقيم ، وان التجديد وسيلة الانجاب ٠

والكاتب يرى ان هذين الاتجاهين « ليسا في الحقيقة متضاربين ، بل هما ، بوجه ما ، متكاملان ٠ فالاول يمثل السنة المعتادة في الحركات الاصلاحية المنبعثة من الانطلاق من الماضي ، والثاني يمثل الخطوة الموالية التي تأتي من تفتح الحركة الاولى وتأثرها بالعوامل الخارجية ! »

والظاهرة الجديدة التي وقف عليها ، والتي رافقت نشاط المجامع العلمية هي أن اللغة العربية عرفت لاول مرة وجود هيئة رسمية جماعية تحكم فيما يجوز ولا يجوز من الاستعمالات اللغوية ٠

ولكنه يخشى اكثر ما يخشاه تواجه المناقشة المسموحة التي تسلطها عليها اللغات الاجنبية في داخل نفس المدارس والكليات التي كان من المفروض ان تكون السلاح الوقائي المقاتل ، لحماية اللغة الام ، لا وسيلة تركيز وتثبيت اللغات المنافسة لها ٠

ولذلك ، فان المجهودات التي بذلت لم تؤد الى النتائج المرجوة ٠

وفي خاتمة هذا البحث الشيق نرى الكاتب يستعدي السلطة ٠٠ لاصلاح وتثبيت نفوذ اللغة العربية « ان اللغة العربية بحاجة اليوم الى «أموي» آخر يفرضها في الدواوين حتى تنقلب الى قضية ممارسة للسيادة ، والى قضية تحرر سياسي وثقافي واجتماعي ٠

والكاتب نفسه يرد على نفسه ، حين يجد البلاد العربية متفرقة في انتقاء المصطلحات العلمية « ولكن هذا التفرق ما هو الا نتيجة التفرقات السياسية والثقافية » ٠

وآخر كلمة له « ولكن حاسية هذه القضايا وارتباطها بردود فعل الجماعات امام السلطة ، تجعل الموضوع في نهاية الامر متعلقا بالقرار السياسي » ٠

أنا لست مع الكاتب في هذا القرار السياسي ، لان السياسة في واد ، والامور الثقافية في واد ٠

ولعل ما أراه يصح النظر فيه ، للتخلص مما تعانيه اللغة العربية :

١ ـ الدعوة الى توحيد المجامع العلمية ، والمصطلحات التي تضعها في جميع البلدان العربية ، والمؤسسات العلمية ٠

٢ ـ ان جهود المجامع العلمية وحصرها في النشرات والمعاجم التي تصدرها لا تكفي، لانها تبقى حبيسة الاوراق، وانما المهم نقلها الى بطون الكتب المقروءة ، والمطالعات التي تفرض على الطلاب في المدارس كلها ، وتيسير هذه المصطلحات ونشرها في قراءات ميسرة ٠

وبدون ذلك تظل هذه الجهود عقيمة ، محدودة الاثر ، لانعدام التناسق العلمي في المجامع العربية المختلفة ٠

● ● ●

٢ ـ وهذا الاستاذ الاديب سعيد الشبابي يعالج أزمة النقد في الادب العربي المعاصر ٠

في الحقيقة ، هنالك أزمتان مترابطتان : أزمة الادب العربي المعاصر ، وازمة النقد ٠ لان الذي أربك النقد وشتت النقاد ضياع الشخصية العربية في ادبها الحاضر ، والانشطار بعضها عن بعض ٠

أوليس الكاتب نفسه يعترف ـ في المقدمة ـ بأن فقدان التفاعل والانسجام بين المبدع والمتلقي يعود الى التيارات والاتجاهات التي قولبت الشعر العربي في اطار **لغزي** و **رمزي** ، مما أبعده عن الجماهير ؟

وهو ، بذلك ، يحدد مهمة الفنون الكلامية ـ ومن بينها الشعر ـ بأن لها وظيفة اجتماعية ، أو مهمة سياسية ، وبغير هذه الوظيفة تبقى تلك الفنون رهينة عزلة فكرية ٠

وقد اصاب ، حين طلب التوفيق بين توصيات كل مؤتمر عربي بلزوم اتصال الاديب بالجماهير ، وبين نزوع الاديب الى الاسلوب الناقص الذي لا يفهم صاحبه نفسه ما يريد ، فكيف بالقارىء ولو كان مثقفا ؟

وهذه الازمة الشعرية ـ عنده ـ أدت الى الازمة النقدية فمنهم من يتعصب للقديم لانه قديم ، ومنهم من ينصر الجديد ، ويحمل على التقليد ٠

ولعل النظرة الثانية ـ من الكاتب ـ اكتشافه بأن أزمة النقد انما نشأت حين اكتفى النقاد الجدد بالحملة المسعورة على الشعر القديم ٠٠ كل قديم ، دون ان يجربوا ان يكونوا موضوعيين في تحليل الشعر الحر ، وجلاء مزاياه الابداعية ! ٠

ولكن من الغريب حقا ان يظن النقاد ان الشعر الحر بدعة عربية خالصة ، مع انه في الحقيقة اتباع وتقليد آخر لما كان يروج من ضروب هذا الشعر في العالم الغربي ٠

والفرق بيننا وبينهم انهم نزعوا الى الجديد ، دون أن يتنكروا لقديمهم ، ونحن لا نذكر التجديد الا مصحوبا بالتجديف على القديم ، دون ان ندرك ان لكل عصر اتجاهه وطريقته وظروفه ٠

لذلك ، يرى الكاتب ان النجاة من هذه الازمة تقوم على التخلص من طريق النقد الحكمي أو الايديولوجي الذي يتخذه جل النافدين ، واتباع طريق سلك المعايير التفسيرية •

وهذا هو ما كان يصنعه النقد في العصور القديمة غير مكتف بكشف المساوىء ، بل كان يعرج على ما كان يجده جميلا ، ويفسر اسباب جماله الفني •

واذا كان — هنالك — من محاولات نقدية تخضع لاعتبارات لا علاقة لها بالاثر الادبي وقيمته ، فان — هنالك — اجترارات ادبية تخضع لاهواء سياسية ، ونوازع ايديولوجية لا علاقة لها بالادب •

أليس ، بعد هذا كله ، نجد أن أزمة النقد متصلة بازمة الادب ؟

● ● ●

٢ : وعلى صعيد النقد نفسه يقدم لنا الاستاذ رضا السيوسي مقاله في النقد الادبي ودراسة الاغراض الشعرية

فالكاتب يرثي لاصحاب الدراسات المنهجية الجافة باسم الموضوعية حينا ، واسم التحليل العلماني حينا • فيمتلكون كل صغيرة وكبيرة في التحليل ، الا ان يلموا بروح الاثر الادبي وحياته •

وهو يدعو الى تتبع البحوث النقدية في الاداب اجنبية التي لا تخضع للمنهجية خضوعا أعمى •

ويذكر مثلا على ذلك ، في النقد الحديث — تأثير ما اشتركت فيه « الالسنية التطبيقية — علم اللغات الاسلوبية والتحليل النفسي » •

وقراءة النص عنده تكون قراءة أفقية ، وقراءة عمودية ، وقراءة دائرية ، وهي قراءة المختصين ، اذ تبدو فيها اهمية فهرسة المفردات واضحة ، يساعد ترتيبها على ادراك مدى تفاعل العناصر اللغوية بفضل القيمة الوضعية لهذه العناصر • وحينئذ تبرز خصائص الابداع الفني ، والابتكار الشعري في الاثر المدروس •

ووجود هذا الفهرس اللغوي — عنده — أصبح ضرورة لما له من أهمية في ارتباط المفردات اللغوية التي استعملها الشاعر او الكاتب بالحالات النفسية التي عاشها •

وبهذا يرد على النظرية القائلة « ان الادب هو ظاهرة مستخلصة من الوضع الاقتصادي والاجتماعي لاغير ••• » وما كان القصد من دراسة هذا الوضع الا تيسير فهم سلوك الفرد وحياته النفسية •

والغاية التي يدعوا اليها الكاتب لا ترمي الى رفض طريقة واستبدالها باخرى « بل علينا تحسين ما لدينا ، والاخذ بما يستحدث بقدر » •

ولماذا لا يجمع الناقد بين كل الوسائل المعروفة ، ما كان منها مستعملا في الطريقة الذاتية ، او التحليلية النفسية ، او البلاغية ، او الاحصائية او التوليدية ، او الوظيفية ، على غير تعصب ولا افراط ؟ بما يلائم شعرنا وادبنا ، لان لكل لغة خصائصها البنائية والتعبيرية ، بحيث تتفاوت شاعرية الالفاظ نفسها •

انها لخاتمة منطقية جيدة ، لا شك فيها • لا ترجح مذهبا على مذهب ، ولا تتعصب لطريقة على طريقة •

وقبل ان اختم تعليقي أحب ان اوضح ما ذكره الكاتب باسم « العلم الالسني » تلميحا ، وهو ظاهرة جديدة غريبة ، دار حولها ويدور جدل كثير •

واذكر ان العربي الاول الذي اهتم بهذه الطريقة ، ودرس لها دراساته في اللغة الفرنسية هو الدكتور المغربي — محمد أركون — الذي كان موضوع اطروحته : « الانسانية العربية في القرن الرابع الهجري — ابن مسكويه — » •

والعلم الالسني علم لما يصل الى جامعاتنا • وهو — بكنهه — غير علم فقه اللغات المعروف •

ظهر هذا العلم سنة ١٩١٤ على يد عالم سويسري عرف اللغة تعريفا حديثا « بانها وسيلة لادراك معنى او فكرة » و « اللغة — عنده — منظومة من العلاقات » ، ترمي الى توضيح صورة تقع في ذهننا ، وهي تختلف في انسان عن انسان ، تتعلق بادراك كل انسان للعالم الخارجي كما يراه ، ويتصوره بسبب ما تراكم في نفسه من تصورات في بيئته ، ومجتمعه ، ونفسه •

وبهذا ينشأ خلاف كبير في مفهوم كل كلمة ، بحسب موقعها من النفوس • وليست اللغة لغة واحدة مستقرة ، وانما يتغير مفهوم المعنى تغيرا كاملا بين كل انسان وانسان ، وبين كل جيل وجيل •

فمثلا حين يقرأ المسلم « الحمد لله رب العالمين » يفهم ما يقرأ تبعا لعقيدته ، أما الباحث فيتساءل : متى نطق بهذا القول القرآن لاول مرة ؟

والعالم الالسني يتوخى ان يكشف الظروف المصاحبة لهذا القول •

ان التخصص اليوم — مع فضله — اصبح علة العلل ، فالنحوي في نحوه ، والفقيه في فقهه ، والمؤرخ في تاريخه لا يمكنهم أن يفهموا روح النص اذا لم يتفقوا جميعا • لان التخصص الضيق يحدد الفكر ، ويقيده ، فلا يشرف على شيء ، ولا يمكنه ان يصل الى الحقيقة •

وانطلاقا من هذه النظرية ، ندعوا النقاد الى استخدام كل ما يملكون من وسائل النقد ، للوصول الى الحقيقة ؟

والقائد أيضا من أبناء الشعب

اوبايك ريونج

كان ذلك في يوم من أوائل ربيع ١٩٣٣ ، الا ان برد الشتاء لم يكن قد انقضى ، وكان نهر (دونان) لايزال متجمدا ٠

كنا – نحن الانصار – تحت قيادة الرفيق (كيم ايل سونج) شخصيا قد توقفنا لاستراحة قصيرة أمام منزل فلاحين بالقرب من (ليانغ شويت شانت تزو) على ضفة النهر ٠ قرعنا الباب عدة مرات ولم يظهر أحد رغم وجود بعض الدلائل تشير الى وجود حياة في داخل المنزل ٠

كان البرد قارصا جدا وكان معنا جريح ولكن لم يحاول أحد منا الدخول عنوة ٠ فوضعنا تجهيزاتنا أرضا وقررنا ان نستريح في الباحة ٠ لقد كان البرد موجعا حقا ولكننا كنا لانزال نلهث من تعب المسير ٠ وكنا نبحث عن مأوى وكنا بطبيعة الحال نريد نقل رفيقنا الجريح الى داخل المنزل ٠ ولكن تعليمات الرفيق (كيم ايل سونج) كانت ماثلة في أذهاننا ، وكانت تقول : « عليكم أن تكونوا فعلا جيشا يخدم الشعب » ٠

خلع الرفيق (كيم ايل سونج) معطفه ووضعه على الجريح قائلا : « بوسعنا التغلب على البرد بأن نقوم ببعض الحركات الرياضية،فذلك خير من البقاء جلوسا بلا عمل» ٠ وأمسك بفأس وتوسط الباحة وأخذ يقطع من حطب التدفئة ، فحذونا حذوه جميعا ، فراح بعضنا يزيح الثلج من حول المنزل والبعض ينضح الماء من البئر بينما أخذ الاخرون يجلبون الحطب ويشعلون النار في الهواء الطلق لطهي الطعام كما كنا قد فعلنا في الجبال ٠

وعلمنا فيما بعد أن أصحاب المنزل قد احتبسوا أنفسهم داخلا اذ لم يسبق لهم ان رأوا أنصارا ممن يقاتلون ضد اليابانيين فحسبونا جنودا يابانيين وراحوا يراقبون حركاتنا من ثقب كان في النافذة المغطاة بالورق ، فأدهشهم ان نقوم بازاحة الثلج وان نستريح في الباحة ، وأننا لم نأخذ قشة واحدة من حزمة الحطب الموجودة في الباحة ، وكان الانصار قد استعملوا في اشعال النار حطبا كانوا قد جمعوه هم بأنفسهم ٠ وكان أكثر ما أدهش الزوجين تلك الالفة المتينة التي كانت تتجلى بوضوح بين الانصار ، فلقد شاهدوا أحدنا يخلع معطفه ليضعه على الرجل الجريح ، وشاهدوا ما كان الجميع يبدونه من ود في العناية به ٠

انهم لا يشبهون الجيش الياباني
أسائل نفسي من عساهم ان يكونوا
لم يسبق لي قط أن رأيت جنودا كهؤلاء
بكل تأكيد ، انهم ليسوا يابانيين
فما العمل ؟

وترددا ، ولكن طفلهما استيقظ وأخذ بالبكاء، وأخيرا فتح الباب على مصراعيه وخرج منه رجل مسن ٠ وعندما علم من نحن ، خجل لاختبائه ، ولكنه الان يفتح لنا قلبه ، فأدخلنا وهو ينادي زوجته لتغلي الماء ٠ وقدم من مؤونته المتواضعة بعض الذرة وأوراق فجل وملفوف مجففة كانت معلقة بالسقف ، ولكننا رفضنا شاكرين ٠

لقد سماه الرفيق (كيم ايل سونج) « جدو » وقدم

له سيجارة وراح يطرح عليه بكل طيب أسئلة عن عائلته ،

وسأله : ما داموا فلاحين منذ زمن طويل ، فلماذا لا يربون دجاجا ، ولماذا لم يكن لاحد من الاولاد قبعة من الفرو في

فصل البرد ، وما الى ذلك ... فتنهد الرجل وقال بأنه

مقدر له ان يكون فقيرا . وأخذ الرفيق (كيم ايل سونج) يتحدث عن حياة وعن بؤس الرجل كما لو كان أحـــد أفراد اسرته ، وقال بعبارات واضحة : انه لم يكن القدر

وانما هو استغلال ونهب الامبريالية اليابانية وأسياد حرب منشوريا وأصحاب الاراضي الاقطاعيين هذه كلها هي التي أوصلت الشعبين الكوري والصيني الى مثل هذا الدرك من

البؤس ، وأن خوض معركة ضد الامبريالية اليابانية هي الوسيلة الوحيدة أمام الشعبين حتى يتوفر لهما العيش

الرغيد . فتأثر الشيخ تأثرا عميقا وملأت الدموع عينيـه

اللتين تفتحتا على قضية حرمان الشعب بأسره بما فيه هو نفسه ، وقال انه يرغب بأن يلتحق بالانصار هو أيضا .

وبعد الاستراحة ، قدم القائد بعض النقود للشيخ وقال له : « يبدو ان الجدة أيضا ليس لديها الشيء الكثير

لترتديه غير هذه الخرق ، فهاك بعض المال ، فخذه واشتر بعض الدواجن وربها حتى تستطيع ان تطعـــم أولادك دجاجا . » .

وعندما علم من هو ذلك الرجل الذي عامله بهذا القدر من الطيب ، وعلم انه كان الجنرال (كيم ايل سونج) بنفسه ، ذلك الرجل الذي نكن له جميعا هذا القدر من الاحترام ، كما لو انه كان أبا حقيقيا ، قال الرجل :

والدموع بعينيه : « القائد رجل عظيم ، ولكنه يكسر حطب

التدفئة مثل كل الناس » . فابتسم الرفيق « كيم ايـل سونج » وقال له : « والقائد أيضا من أبناء الشعب ، وليس

هناك من سبب لئلا أعمل ما يعمله الاخرون ، عندما يعمل الانسان فانه يشعر بفرحة حقيقية للحياة ، وتكون لـه شهية جيدة » .

فأمسك الرجل الشيخ بيديه وراح يتوسل اليــه

بقوله : « البرد قارص اليوم ، ألاتمضون الليل هناعندي؟ بودي ان أكون معكم ليلة واحدة ، لم أكن أعرف أن جيشا كجيشكم موجود ، لقد أعطيتموني قوة جديدة » .

رسائل الأصدقاء

سيادة الاديب العربي الاصيل الاستاذ مدحة عكاش المحترم

تحية عربية وبعد ..

في مطلع العام الثاني لاصدار مجلتكم الشهرية الثقافة .. لا بد لي أن أهنئكم على خطوتكم المباركة في الاستمرار باصدار هذه المجلة الزاهرة والتي كان الفضل فيها لهمتكم الوثابة ولتشجيع السيد وزير الاعلام الاستاذ احمد اسكندر احمد حفظه الله .

ولقد لاحظت مدى رسوخ رسالة مجلتكم في اعدادها الاخيرة التي قدمت ابحاث مؤتمر الادباء في المغرب لاحياء ذكرى ابن زيدون والوثبة الجبارة في العدد الاول لعام ١٩٧٦ بأبحاثه القيمة واخراجه الانيق .

سيروا الى الامام للمضي بتحقيق رسالتكم الادبية الخالدة .

دمشق ١٧-١-١٩٧٦

المخلص حسان الكاتب

حول « الظمأ والينبوع » و « ثم أزهر الحزن »

أخي الاستاذ فاضل السباعي

قرأت قصتك « الظمأ والينبوع » وروايتك « ثم أزهر الحزن » فكبر عندي ما كان من غفلتي عما تكتب بقدر ما كبر شأنك . وقد تبين لي أن قصصك هي شوامخ خارج قطرنا وان لم تكن مغمورات داخله .

أعود الى « الظمأ والينبوع » : فيما أنا أدخل على القصة دخول المتصيد، وجدتني غارقا في أحضانها المخملية، تارة أنساب بفكري ونفسي بين السطور ، مطيلا ، مشدودا الى العذوبة في الاسلوب وفي الصور ، وتارة أقفز بين الاجزاء ، طامعا فيما هو أعذب ... وكانت هذه حالي بين استقرار وتنقل ، الى أن وجدتني اتخذ وضع الرسام الذي يعرض عليه رسم فيعجبه ، فيغري بتفحصه : الخطوط ، اللمسات ، الالوان ، الاشكال ، الدقة ، الاطار ، هذه كلها انسجمت فأعطت صورا مألوفة لديه ، فيستسيغها ويرتاح اليها .

و « ثم أزهر الحزن » : تصوير صادق بارع للمجتمع السوري ، بل العربي على العموم ، وتحليل متأن عميق لنوازع النفوس ، مما يؤكد ان احساسك المرهف هو نسغها الثر، ووجدانك الحي هو أسها الحر المكين. وأعتقد، لذلك ،انك أنت نفسك كلما قرأت ما كتبت في « ثم أزهر الحزن » ومهما تكررت قراءتك هذه ، اهتزت احاسيسك وتحركت عبراتك ، واندفعت كلها في خضم امواج الانفعالات الهادئة العميقة التي تنتظم روايتك .

وأرى أنك من خلال « ثم أزهر الحزن » ، لك أن تطمئن الى ان ما كتبته متماسك ونفاذ ويؤدي رسالة أخلاقية وفنية ، وانه لا ضير من الغثاء الذي يلاحظ في نهرك المتدفق ، انه كغثاء السيل .

بنفسي أن أقرأ كل الذي كتبت .

متمنيا لك دوام التوفيق .

دمشق - محمد رياض آلرشي

الشاعر المبدع اسماعيل عامود المحترم

تحية محبة وتقدير وبعد :

تلقيت بمزيد الشوق واللهفة ديوانك (اعتناق للارصفة البالية) الانيق في مظهره . القيم ، الحلو في في مضمونه وكلماته . واني لاعتز أشد الاعتزاز باني أمتلك هذا الديوان . وسوف اعتبره دائما من أثمن ممتلكاتي خاصة وان قلمك الساحر . خط عبارات الاهداء .. فألف الف شكر ..

استاذي الكريم :

لقد عرفتك شاعرا منذ زمن بعيد . قرأت كل كتاباتك . كما أعتقد أنني قد قرأت معظم ما كتب عنك . في الصحف والمجلات . - لاني من المهتمين بالادب السوري. وسوف أسعى للحصول على اجازة عالية من احدى الدول العربية برسالة اتقدم بها الى احدى جامعاتها عن الادب السوري ، وأرجو أن أوفق الى ذلك مستقبلا . وهذا سبب معرفتي بك .. لقد تابعت مسيرة الحرف عندك . وأقول بصراحة أنني معجب بالصور الحسية الملقاة في دواوينك . كما تلقى الالوان في قوس قزح . بالعبارة الموسيقية . والكلمة المؤنقة . التي تحمل شحنات هائلة من الحب الانساني ...

شاعري المبدع ..

يسعدني أن أتلقى ديوانك . فشكرا - ثانية للهدية الثمينة - وأرجو أن أوفق لكتابة رأيي في الديوان على صفحات الثقافة او غيرها .. مع تقديم أسمى آيات التقدير والاحترام .

اريحا - سورية　　　　محمد قرانيا